النفي والإثبات

في شريعة أهل الإيمان

بقلم

محمد على محمد إمام

تقديم

فضيلة الدكتور/ عبد الغني القاسمي

وفضيلة الشيخ/ توفيق محمد فيضال

دار الكتب والوثائق المصرية

كتاب

النفي والإثبات

في شريعة أهل الإيمان

بقلم

محمد على محمد إمام

كفر ميت العز _ ميت غمر _ دقهلية

جمهورية مصر العربية

تقديم

فضيلة الدكتور/ عبد الغني القاسمي

وفضيلة الشيخ/ توفيق فيضـــال

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــداء

ـ أهدي كتابي النفي والإثبات في شريعة أهل الإيمان:

- إلى مشايخنا وعلمائنا في مصر وجميع بلدان العالم جزاهم الله عنا كل خير.
- إلى كل الخارجين في سبيل الله على وجه المعمورة.
- إلى كل الدعاة إلى الله من خطباء ووعاظ ومعلمين.
- إلى المدرسين وطلاب العلم العاملين.
- إلى الآباء والأمهات المهتمين بإحياء الدين ونشره في العالم كله.
- إلى الشباب المسلم الحريص على نشر دينه، وإحياء سنة نبيه.
- إلى كل من يحب الله ورسوله.
- إلى كل مسلم يهمه أمر دينه ودنياه وآخرته.
- إلى كل مؤمن بالله واليوم الآخر.
- إلى كل طالبي الحق.

(المؤلف)

تقديم

فضيلة الدكتور / عبد الغني القاسمي

(حفظه الله تعالى)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي وعد عباده بالإمامة والتمكين بعد الصبر و اليقين { وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ }(١)، ولا يستقر اليقين في القلب ألا بعد النفي والإثبات والتخلية والتحلية و نصلي ونسلم على رسوله الكريم الذي كان يعلم أصحابه اليقين كما كان يعلمهم القرآن الكريم وعلى آله وأصحابه الذين هزوا قصور كسرى والروم بقوة الإيمان واليقين، فمكن الله لهم في الأرض كما وعدهم في كتابه المبين أما بعد:

فقد أهداني الأخ المكرم الشيخ محمد إمام كتابه الموسوم:(النفي والإثبات في شريعة أهل الإيمان) وبعد مطالعتي له مرتين الأولى متصفحا والثانية متأملا فألفيته قد رتبه ترتيبا بديعا يتناسب وحال القلب إقبالا و إدبارا، واستدل لكل صغيرة وكبيرة بما حضره من نصوص الوحيين وكلام أهل العلم من كتب التفسير والتاريخ والحديث وشروحه، مما أعطى مصداقية للكتاب وزاده بهاءً.

---

(١) سورة السجدة – الآية ٢٤.

والمتأمل في المكتبة الاسلامية المعاصرة قل ما يسقط نظره على سفر مستقل في باب اليقين والتوكل، رغم أن كل العلوم تجف إذا جف القلب من اليقين، بل تصبح الأعمال التعبدية خالية من الروح إذا فرغ القلب من اليقين ونور الايمان ، فكم نحن بحاجة لتخلية هذه القلوب عما سوى الله تعالى وتحليتها بنور الإيمان واليقين الذي من خلاله تصلح الأعمال ثم تصلح الأحول ويكتب الله لنا التمكين كما كتبه للصحابة الكرام .

فأيها القارئ الكريم لهذا السفر تمعن تفضلا لتلك المعاني المبثوثة فيه تملأ قلبك حبا لله وتعلقا به ولا يسعنا في هذه الأسطر إلا أن نتقدم بالشكر للشيخ المكرم محمد علي محمد إمام على جهوده في نشر العلم وخاصة بما يصلح القلوب والبيوت والأسر فهي قواعد الإصلاح فلا يستقيم السقف إلا بعد ثبوت الأساس هذا ونسأل الله العلي الكبير أن يبارك في هذا الكتاب وفي صاحبه وينفع به أهل القبلة ويجعله له ذخرا {يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ }(١).

سبحانك اللهم وبحمد أستغفرك وأتوب إليك، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

د. عبد الغني القاسمي(الجزائري)

تخصص في الحديث وعلومه

(١) سورة الصافات – الآيتان ٨٨، ٨٩.

تقديم

فضيلة/ الشيخ توفيق فيضال

(حفظه الله تعالى)

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمده ونصلي على رسوله السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد : فإن النفي والإثبات أسلوب إسلامي أصيل، يكفينا أن جعله الله عنوانا للدخول في دينه متضمنا في الكلمة الطيبة{ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ } ، فأنت تنفي أولا الألوهية عما سواه ثم تحصرها فيه تعالى .

وقد اشتهر عند أرباب التربية والتزكية قولهم: التخلية قبل التحلية، أي قبل أن نتحلى بالصفات الحميدة يجب أن نتجرد من الرذيلة، وقبل اكتساب الصفات الظاهرية هناك إصلاح الباطن، ويكون بنفس الأسلوب؛ نفرغ القلب من كل فساد ونشحنه بكل صلاح، وكيف يستقيم إدخال الصالح على الفاسد، حتى في المحسوسات المادية تنطبق عليها القاعدة؛ فلا نصب طيبا على خبث في إناء إلا تنجس الكل، فتوجب التطهير قبل التطييب.

وإذا تأملنا القرآن تيقنا من صدق القاعدة؛ انظروا إلى أعظم آية في القرآن كيف سارت على هذا الأسلوب الأرقى في التربية: { اللهُ لاَ إِلَـهَ } نفي الألوهية عما سواه { إِلاَّ هُوَ } إثباتها وحصرها في الله تعالى { الْحَيُّ الْقَيُّومُ } إثبات صفتي الحياة والقيومية { لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ } كمال الحياة والقيومية بنفي نقصهما:

السنة والنوم { لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ } إثبات الملكية لا يتم كماله إلا بنفي الحاجة لأعوان يتملقهم بقبول شفاعتهم كما هو عادة الملوك الناقصين الضعفاء{ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ }، { يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ } إثبات كمال علمه بنفي علم من سواه إلا بقدر يأذن فيه، فليس هو عالم فقط؛ بل مصدر العلم، وجاء بهذا المعنى في صيغة النفي والإثبات { وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء }، { وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ } أثبت سعة ملكه، وأثبت بعدها كمال السعة بنفي ضدها، وهو العجز عن حفظها، ومعلوم في تجارب البشر أن سبب خراب الملك عبر التاريخ هو العجز عن التحكم في المملكة لما تتسع أطرافها، فيكون انهيارها من جبروتها، ويكون ضعفها كامن في قوتها، لكن الله تعالى{ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ }(١) فإذا كان هذا هو الأسلوب الإلهي في أعظم آية! فلن يبقى لأحد حق الرد { وَاللهُ يَحْكُمُ لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ }(٢) بقي أن نشد بعضد الشيخ محمد إمام وجهوده الطيبة المباركة في تأصيله للمنهج النبوي، ونبارك إتحافاته ....لا ضيع الله جهودكم، وأراكم من ثمارها ما يقر أعينكم وعيون الصالحين .

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

أخوكم

توفيق محمد فيضال(غفر الله له)

أستاذ الإسلاميات _الدار البيضاء– المغرب

---

(١) سورة البقرة – الآية ٢٥٥.

(٢) سورة الرعد – الآية ٤١.

النفي والإثبات

في شريعة أهل الإيمان

تمهيد

عن عِياض الأَنصاري ﷺ، قالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: إِنَّ لا اله إلا الله كلمةٌ على الله كريمةٌ، لها عندَ الله مكانٌ، وهيَ كلمةٌ مَنْ قالها صادقاً أَدْخَلَهُ الله بها الجنة، ومَنْ قالها كَاذِباً حَقَنَتْ دَمَهُ وأَحْرَزَتْ مَالَهُ، ولَقِيَ الله غَداً فحاسَبَهُ» (١).

الذي ما بدأ دعوته بقول لا إله إلا الله ما وضع قدمه على أول عتبة في الدعوة.

ذكر الكلمة يزيد الإيمان، ودعوة الكلمة تدمر الباطل في قلب الإنسان وفي خارجه، فإذا تدمر الباطل الذي في الداخل، سهل تدمير الباطل الذي في الخارج، لأن جذور الباطل الخارجي هي في القلب، فإذا خرجت الجذور من الداخل فوجودها الخارجي لا يؤثر.

المقصود أن تتربع:(لآ إله إلا الله) في القلوب، نفي كل ما سوى الله، وأن نرى حقيقة الفعل والعطاء والمنع والعزة والذلة فقط بيد الخالق جل وعلا.

---

(١) قال الهيثمي في المجمع، كتاب الإيمان، باب في مَا يُحَرِّمُ دَمَ المرْءِ وَمَالِهِ، (١/ ٤١): رواه البزار، ورجاله موثقون إِن كان تابعيه عبدَ الرّحمان بن عبد الله بن مسعود.

اليقين هو فقدان رؤية غير الله من القلب، إذا جاء الحال ما ترى غير الله يفعل، ولا تراه ما يقضي حاجة، ولا ترى مخلوق يدبر ، ولا ترى مخلوق يصرف، ولا ترى مخلوق عنده شيء.

الحال الحقيقي هو حال القلب عند الحال.. كيف حال قلب الإنسان في وقت الأحوال، هل قلبه مع الله، أو قلبه مع الأشياء، هل ترى أن غير الله يفعل أو المخلوق هو الذي يفعل؟ الحقيقة أن الفعال هو الله.

والأحوال من فقر ومرض ونحوهما لا تتغير بالأسباب، بل تتغير بالإيمان والأعمال الصالحة.

وإن تغيرت أحياناً بالأسباب فهي ابتلاء للمؤمن، هل يركن إليها ولا يلجأ إلى الله؟، وهي كذلك اطمئنان للكافر فهو لا يعرف غيرها.

فالكفار يتفكرون لتغيير أحوالهم من الفقر إلى الغنى، ومن المرض إلى الصحة بالأسباب، وإذا جاءت عليهم أحوال سيئة يتفكرون لتغييرها بالأموال والأسباب.

وتغيير الأحوال بالأسباب جهد فرعون.. أما جهد الأنبياء فهو تغيير الأحوال بالإيمان والأعمال الصالحة لا بالأسباب، بل بأمر الله وسنته فهو مالك الملك، وبيده كل شيء كما قال سبحانه: {إِنَّ اللهَّ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ}(١).وقال الله سبحانه: {وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ }(٢).

---

(١) سورة الرعد – الآية ١١.

(٢) سورة البقرة – الآية ٤٥.

فالفقر والمرض أحوال لا نتوجه لحلها إلى الأسباب فقط، بل نتقي ونحذر، ونتوجه إلى الله أولاً بالإيمان والأعمال التي ترضيه، ثم هو سبحانه يغير الأحوال بقدرته.. فهو وحده القادر على تغيير الأحوال.

إما بالأسباب كما هو معلوم .. أو بدون الأسباب فيقول للشيء كن فيكون كما رزق مريم طعاماً بلا شجر، وابناً بلا ذكر .. أو بضد الأسباب كما جعل النار برداً وسلاماً على إبراهيم، وكما جعل البحر سبباً لنجاة موسى في التابوت، وحين كان مع بني إسرائيل.

فلا نتوجه إلى الأسباب في حل المشاكل، وتغيير الأحوال، بل نتوجه إلى الله، ونفعل ما يرضيه، وننظر ما هو أمر الله في حال الفقر أو الجوع أو المرض أو الخوف فنفعله كما فعله النبي - صلى الله عليه وسلم -.

والله سبحانه خالق الأسباب التي يتم بها ما أراد، كما جعل المطر سبباً للإنبات .. والدواء سبباً لذهاب الداء .. ووطء المرأة سبباً للحمل .. والنار سبباً للإحراق.. والأكل سبباً لذهاب الجوع .. والماء سبباً لذهاب العطش .. والسكين سبباً للقطع.

كما جعل سبحانه الدعاء سبباً لما يحصل للمدعو له أو المدعو عليه .. وسؤال العلماء سبباً لزوال الجهل .. وطاعة الله سبباً لرضاه .. ومعصية الله سبباً لسخطه وانتقامه.

فالأسباب المأذون فيها شرعاً والمأمور بها والمنصوص عليها لا تنكر، لكن لا نتكل عليها، فنفعلها ولا نتوكل عليها، إذ في إنكارها نقص في العقل، وفي الاتكال عليها شرك في الدين.

وكل من الاتكال عليها، والإنكار لها، منتفٍ شرعاً وعقلاً.

فالواجب الإيمان بها وفعلها، وعدم التوكل إلا على الله وحده.

كما قال سبحانه: {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا } (١) .

ومن سنة الله أن من اعتمد على غير الله من الملك والمال والأسباب، أعطاه الله إياه، وخذله من جهته فـ: { لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا } (٢).

ومن سنته كذلك جعل الأسباب في أيدي أعداء الله، لأن أعداء الله اعتمادهم على غير الله من الأسباب كالملك والمال والسلاح ونحوها.

ومن سنته كذلك إعطاء الفقر والمسكنة لأنبياء الله وأتباعهم، لأن اعتمادهم على الله، ليس على الملك والمال والأسباب كما قال سبحانه: {قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ } (٣).

فاعتماد المؤمنين في كل شيء على الله، واعتماد الكفار على الأسباب، والأسباب بدون الإيمان سبب للهلاك كما قال سبحانه: {فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ

---

(١) سورة الفرقان – الآية ٥٨.

(٢) سورة الإسراء – الآية ٢٢.

(٣) سورة الملك – الآية ٢٩.

فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ } (١) ..

والكفار يستعملون هذه الأسباب التي أعطاهم الله في عداوة المؤمنين وإيذائهم، والله سبحانه يأمر المؤمنين بالصبر عليهم، والله قادر أن يهلكهم بالحر او البرد أو بالحجارة أو يحرقهم بالنار أو يغرقهم بالماء، أو يخسف بهم الأرض أو بغير ذلك.

وكانت مثل هذه الأحوال في مكة، فقد أوذي النبي - ﷺ - ومن آمن معه، وظلموا وعذبوا، وفي كلها أمرهم الله بالصبر، وتحمل الأذى والدعوة والرحمة كما قال سبحانه: { فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ } (٢).

وهذا الصبر ليس بسبب الضعف، بل ليلقي في قلوب المؤمنين والدعاة الشفقة والرحمة على الناس أكثر من شفقة الأم على ولدها، الذي يؤذيها فترحمه، لأنها تعلم ما لا يعلم.

فالرسول - ﷺ - يتفكر ويعمل لهداية الناس، وأعداؤه يتفكرون ويعملون للقضاء عليه.

همُّ الرسول وفكره في هدايتهم .. وفكرهم وهمهم لجهلهم لقتله، وشتان بينهما.

فقلبه - ﷺ - مملوء رحمةً وإيماناً وعلماً، وقلوبهم مملوءة غلظةً وكفراً وجهلاً وظلماً.

---

(١) سورة الأنعام - الآية ٤٤.

(٢) سورة الروم - الآية ٦٠.

وكلما زادوا في أذاه ازداد رحمةً لهم وشفقةً عليهم، ولم تأت في قلبه عاطفة الانتقام لنفسه.

وإذا كان الله معنا لم نهزم ولم نغلب كما قال سبحانه: {وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ } (١)(٢).

الآن بعدم ذكر الخالق ونفي الأسباب، صدقنا أن الفعل من المخلوق، تذهب القلوب وتوجهت للأشياء والحقيقة أن هذا النظر خداع، الذي يريد أن غير الله يفعل.. كالذي يمشي وراء السراب وهو ظمآن وكلما يمشي وراء السراب يزداد ظمأ ويبتعد السراب، قال تعالى: ((وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ)) (٣).

حياته كلها يجري وراء الأسباب والأشياء ليقضي حاجته فتزداد الحاجة وتبتعد الأشياء، يعني يأتيه الموت وهو متوجه للأشياء والحاجات.

الحقيقة الفعل الحقيقي كله بيد الله: مالك الضر هو الله.. ومالك النفع هو الله.. ومالك السعادة هو الله.. ومالك هو الله.. ومالك العزة هو الله.. ومالك الذلة هو الله.

يعز بقدرته.. يغني بقدرته لا يحتاج لأسباب الغنى حتى يغني.. ولا يحتاج لأسباب العز حتى يعز.

---

(١) سورة الروم – الآية ٤٧.

(٢) فقه القلوب _ الباب الرابع _ كتاب الإيمان – فقه خلق الأسباب.

(٣) سورة النور _ الآية ٣٩.

الله عز وجل أمن إبراهيم في وسط أسباب الهلاك.. لأن الأمن والخوف ليس من الأشياء.. أسباب الخوف لا تخلق ذرة من الخوف.. وأسباب الأمن لا تخلق ذرة من الأمن.

الله سمى إبراهيم فريق.. وخصومه النمرود وقومه وجيشه وأسلحته وعتاده فريق.. عندهم الأسباب الظاهرية، وإبراهيم ما عنده شيء من الأسباب الظاهرية، قال تعالى: { وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللّهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لاَّ يُؤْخَذْ مِنْهَا أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ * قُلْ أَنَدْعُو مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَنفَعُنَا وَلاَ يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ * وَأَنْ أَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِيَ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ * وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ * وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ * فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ * فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ * فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ

بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللهِّ وَقَدْ هَدَانِ وَلاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَن يَشَاء رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ * وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلاَ تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللهِّ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ * وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاء إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ } (١).

صاحب الإيمان هو صاحب الأمن الحقيقي، يتأمن قلبه فهو آمن، وإذا خاف قلبه فهو خائف.

لو يكن في كل أسباب الأمن والله خوف قلبه، لا يمكن للأسباب أن تخلق له ذرة من الأمن، كيَهُودَ بَنِي النَّضِيرِ: قال تعالى: { هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللهِّ فَأَتَاهُمُ اللهُّ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ } (٢).

[الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ] يَعْنِي يَهُودَ بَنِي النَّضِيرِ. كَانَ رَسُولُ اللهِّ (ﷺ) لَمَّا قَدِمَ المدينة هادنهم وأعطاهم عهدا وذمة على أن لا يُقَاتِلَهُمْ وَلَا

(١) سورة الأنعام _ الآيات من ٧٠ : ٨٣.

(٢) سورة الحشر _ الآية ٢ .

يُقَاتِلُوهُ، فَنَقَضُوا الْعَهْدَ الَّذِي كَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ فَأَحَلَّ اللهُ بِهِمْ بِأْسَهُ الَّذِي لَا مَرَدَّ لَهُ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمْ قَضَاءَهُ الَّذِي لَا يُصَدُّ، فَأَجْلَاهُمُ النَّبِيُّ (ﷺ) وأخرجهم من حُصُونِهِمُ الْحَصِينَةِ الَّتِي مَا طَمِعَ فِيهَا الْمُسْلِمُونَ وَظَنُّوا هُمْ(أي تيقنوا) أَنَّهَا مَانِعَتُهُمْ مِنْ بَأْسِ اللهِ، فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا وَجَاءَهُمْ من الله مَا لَمْ يَكُنْ بِبَالِهِمْ، وَسَيَّرَهُمْ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) وَأَجْلَاهُمْ مِنَ الْمَدِينَةِ، فَكَانَ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ ذَهَبُوا إِلَى أَذْرِعَاتٍ مِنْ أَعَالِي الشَّامِ، وَهِيَ أَرْضُ الْمَحْشَرِ وَالْمَنْشَرِ، وَمِنْهُمْ طَائِفَةٌ ذَهَبُوا إِلَى خَيْبَرَ، وَكَانَ قَدْ أَنْزَلَهُمْ مِنْهَا عَلَى أَنَّ لَهُمْ مَا حَمَلَتْ إِبِلُهُمْ، فَكَانُوا يُخَرِّبُونَ مَا فِي بيوتهم من المنقولات التي لا يمكن أن تحمل معهم، ولهذا قال تعالى:(يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصارِ) أَيْ تَفَكَّرُوا فِي عَاقِبَةِ مَنْ خَالَفَ أَمْرَ اللهِ وَخَالَفَ رَسُولَهُ وَكَذَّبَ كِتَابَهُ كَيْفَ يَحِلُّ بِهِ مِنْ بَأْسِهِ الْمُخْزِي لَهُ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدَّخِرُهُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ) (١).

أعلى منازل الخوف في وسط كمال الأمن.. الله أرسل إليهم جند من جنوده (الخوف).. في وسط الأمن الله خوفهم.

وفي غزوة بدر: قَالَ اللهُ تَعَالَى : [إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ يَعْنِي الرُّؤُوسَ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ] (٢).

---

(١) تفسير ابن كثير _ سورة الحشر _ الآية ٢ .

(٢) سورة الْأَنْفَالِ : الآية ١٢.

وعَنْ عَبْدِ اللهِّ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ صُعَيْرٍ ، سَمِعْتُ نَوْفَلَ بْنَ مُعَاوِيَةَ الدِّيلِيَّ يَقُولُ : انْهَزَمْنَا يَوْمَ بَدْرٍ وَنَحْنُ نَسْمَعُ صَوْتًا كَوَقْعِ الْحُصَى فِي الطِّسَاسِ، فِي أَفْئِدَتِنَا وَمِنْ خَلْفِنَا، وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ أَشَدِّ الرُّعْبِ عَلَيْنَا (١).

فالخوف والرعب جند من جنود الله، ففي البخاري ومسلم عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله(ﷺ): " نُصِرْتُ بِالرُّعَبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ " (٢).

وفي رواية أحمد:" وَلَوْ كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ مَسِيرَةُ شَهْرٍ " (٣).

الفعل الحقيقي فعل الله.. العطاء الحقيقي هو عطاء الله.. هو المانع ولا معطي غيره، هو العاطي ولا مانع غيره.

كيف نخرج من قلوبنا غير الله.. تأثرت القلوب بغير الله.

عندما يبدأ الإنسان دعوة لا إله إلا الله، يدخل ميدان لا إله إلا الله، ولا يدخل ميدان لا إله إلا الله إلا من ذُلِلَ لسانه بلا إله إلا الله.

إذا تركنا دعوة لا إله إلا الله نتأثر من الأشياء والأسباب.

دعوتك إلى الله تصل إلى الله فيقبلك الله عز وجل، فإذا قبل الله كلامك أدخلك ميدان لا إله إلا الله (٤).

---

(١) البداية والنهاية» السنة الثانية من الهجرة» كتاب المغازي» غَزْوَةُ بَدْرٍ الْعُظْمَى يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ.

(٢) رواه البخاري (٣٢٨)، ومسلم (٥٢١)، والنسائي (٤٣٢).

(٣) رواه أحمد عن عبد الله بن عمرو (٧٠٦٨).

(٤) أي: ميدان معرفة الله عز وجل .

وفي ميدان لا إله إلا الله: لما تعرض عليك الأحوال والأسباب، تكون مثل السفينة التي لها مجاديف، ما تتأثر بالأحوال والأسباب.

ولكن إذا ترك الدعوة لـ لا إله إلا الله فيكون وسط الأحوال صفرا يتأثر بها.

الذي ما يسمع قصص الأنبياء يوميا كالذي يمنع من الأكسجين يموت إيمانه ويقينه.. وفكر الدعوة يموت في حياته.. محتاجين دائما دعوة لا إله إلا الله.. فبها ندخل ميدان لا إله إلا الله.. وفي هذا الميدان تأتي التزكية، وبالتزكية يأتي الفلاح.

يقول الشيخ أبو الحسن الندوي (رحمه الله): ما أخطأ المجتمع الجاهلي فهم هذه الدعوة ومراميها، وما غم على أهله أمرها، وأدركوا عندما قرع أسماعهم صوت النبي (ﷺ) أن دعوته إلى الإيمان بالله وحده سهم مسدد إلى كبد الجاهلية ونعي لها، فقامت قيامة الجاهلية ودافعت عن تراثها دفاعها الأخير، وقاتلت في سبيل الاحتفاظ به قتال المستميت، وأجلبت على الداعي (ﷺ) بخيلها ورجلها، وجاءت بحدها وحديدها: { وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ }(١) ووجد كل ركن من أركان هذه الحياة ومن أثافي الجاهلية نفسه مهددا وحياته منذرة، وهنا وقع ما تحدث عنه التاريخ من حوادث الاضطهاد والتعذيب، وكان ذلك آية توفيق النبي (ﷺ) لأنه أصاب الغرض، وضرب على الوتر الحساس، وأصاب الجاهلية في صميمها وفي مقتلها، وثبت النبي (ﷺ) على دعوته ثبوتا دونه ثبوت الراسيات،

---

(١) سورة ص : الآية ٦.

لا يثنيه أذى، ولا يلويه كيد، ولا يلتفت إلى إغراء، ويقول لعمه: " يَا عَمُّ ، وَاللَّهِ لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسَ فِي يَمِينِي ، وَالْقَمَرَ فِي يَسَارِي عَلَى أَنْ أَتْرُكَ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يُظْهِرَهُ اللهُ ، أَوْ أَهْلِكَ فِيهِ ، مَا تَرَكْتُهُ " (١)(٢).

حلقنا حلقة التعليم وما حلقنا حلق الإيمان، ما جلسنا نتذاكر الغيب ، ما جلسنا نتذاكر عظمة الله، ما جلسنا نتذاكر قدرة الله .. بيئة الغيب ينسى فيها الأشياء والحاجات.

يقول الشيخ يوسف(رحمه الله): في البداية القلب يكذب اللسان، عندما تقول الله يفعل ، والمال لا يفعل، فيقول لك القلب: كيف! المال اشتريت به وفعلت به وجئت به، و ... و...، ففي البداية القلب يكذب اللسان، وبعد الاستقامة على الدعوة القلب يستحي ويصدق اللسان، قال تعالى:{ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ } (٣). صادقون في إيمانهم.

مستعدون !!! نجعل الدين وجهد الدين مقصد الحياة، ليس أربع شهور وسنة، بل تحت أمر الله وطريق النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم.

(١) البداية والنهاية ج ٣ ص ٣٣.
(٢) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين للندوي.
(٣) سورة الحجرات _ الآية ١٥ .

يقين

الكلمة الطيبة

أولا: **معنى كلمة التوحيد** : " **لا إله إلا الله** " أنه لا معبود بحق إلا الله.

ثانيا: **المقصود من الكلمة الطيبة** (لا إله إلا الله):

من مقاصدها العليا أن نتيقن أن الله تعالى فعال لما يريد وإرادته لا يحدها حد، وأن الله قادر على كل شيء بدون المخلوقات، وأن الله يفعل بالأسباب (١) وبدون أسباب (٢) وضد الأسباب(٣)، وأن نتيقن بأن المخلوقات مع جميع الأسباب لا يقدرون على شيء بدون إرادة الله ، وعلى هذا ربى الأنبياء وأتباعهم فكان يقينهم على الله تعالى لا تزحزحه أحوال الدنيا مهما عظمت.

---

(١) فيخلق ويرزق بالأسباب ليتبين به ما أفاض من صنعه، وما أودع في مخلوقاته من القوى والطبائع والمنافع(فقه القلوب للتويجري).

(٢) ويخلق ويرزق بدون الأسباب ليبين للعباد أن قدرة الله غير مفتقرة إلى واسطة في فعله(فقه القلوب للتويجري).

كخلق آدم، وعيسى عليهما السلام، ورزق مريم في المحراب، ورزق خبيب بقطف العنب وهو في الأسر في زمن ليس فيه عنب، وسقايته لأم شريك الماء بدلو من السماء،.....فالمعجزات الدالة على قدرة الله لا تحصر.

(٣) ويخلق ويعطي بضد الأسباب ليعلم العباد أن الله على كل شيء قدير، يفعل ما يشاء، ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، كما جعل النار برداً وسلاماً على إبراهيم، وأخرج الماء من الحجر لموسى وقومه (فقه القلوب للتويجري)

أخي الحبيب انتبه! فإن هذا الكلام لا يتفق مع عقيدة الجبر حيثً اسْتَدَلَّتْ الْجَبْرِيَّةُ، بِقَوْلُهُ تَعَالَى :{ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَّ رَمَى } (١).فَنَفَى اللهَّ عَنْ نَبِيِّهِ الرَّمْيَ، وَأَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ سُبْحَانَهُ ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ لَا صُنْعَ لِلْعَبْدِ . قَالُوا : وَالْجَزَاءُ غَيْرُ مُرَتَّبٍ عَلَى الْأَعْمَالِ ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ (ﷺ) :" لَنْ يَدْخُلَ أَحَدٌ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ ، قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهَّ ؟ قَالَ : وَلَا أَنَا ، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهَّ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ " (٢).

وَمِمَّا اسْتَدَلَّ بِهِ الْقَدَرِيَّةُ ، قَوْلُهُ تَعَالَى : {فَتَبَارَكَ اللهَّ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ} (٣). قَالُوا : وَالْجَزَاءُ مُرَتَّبٌ عَلَى الْأَعْمَالِ تَرْتِيبَ الْعِوَضِ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى :{ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } (٤). {وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ }(٥) وَنَحْوُ ذَلِكَ .

فَأَمَّا مَا اسْتَدَلَّتْ بِهِ الْجَبْرِيَّةُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : { وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَّ رَمَى} (٦) فَهُوَ دَلِيلٌ عَلَيْهِمْ، لِأَنَّهُ تَعَالَى أَثْبَتَ لِرَسُولِهِ [ﷺ] رَمْيًا ، بِقَوْلِهِ: إِذْ رَمَيْتَ فَعُلِمَ أَنَّ الْمُثْبَتَ غَيْرُ الْمَنْفِيِّ، وَذَلِكَ أَنَّ الرَّمْيَ لَهُ ابْتِدَاءٌ وَانْتِهَاءٌ : فَابْتِدَاؤُهُ الْحَذْفُ، وَانْتِهَاؤُهُ الْإِصَابَةُ، وَكُلٌّ مِنْهُمَا يُسَمَّى رَمْيًا، فَالْمَعْنَى حِينَئِذٍ – وَاللهَّ تَعَالَى

---

(١) سورة الْأَنْفَالِ _ الآية ١٧ .
(٢) سورة الْأَنْفَالِ _ الآية ١٧ .
(٣) سورة الْمُؤْمِنُونَ _ الآية ١٤ .
(٤) سورة فُصِّلَتْ : ١٧] وَ [الْأَحْقَافِ : ١٤] وَ [الْوَاقِعَةِ : ٢٤.
(٥) سورة الزُّخْرُفِ : الآية ٧٢.
(٦) سورة الْأَنْفَالِ _ الآية ١٧ .

أَعْلَمُ: وَمَا أَصَبْتَ إِذْ حَذَفْتَ وَلَكِنَّ اللهَّ أَصَابَ . وَإِلَّا فَطَرْدُ قَوْلِهِمْ : وَمَا صَلَّيْتَ إِذْ صَلَّيْتَ وَلَكِنَّ اللهَّ صَلَّى! وَمَا صُمْتَ إِذْ صُمْتَ! وَمَا زَنَيْتَ إِذْ زَنَيْتَ! وَمَا سَرَقْتَ إِذْ سَرَقْتَ! وَفَسَادُ هَذَا ظَاهِرٌ .

وَأَمَّا تَرَتُّبُ الْجَزَاءِ عَلَى الْأَعْمَالِ، فَقَدْ ضَلَّتْ فِيهِ الْجَبْرِيَّةُ وَالْقَدَرِيَّةُ ، وَهَدَى اللهُّ أَهْلَ السُّنَّةِ، وَلَهُ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ. فَإِنَّ الْبَاءَ الَّتِي فِي النَّفْيِ غَيْرُ الْبَاءِ الَّتِي فِي الْإِثْبَاتِ، فَالْمَنْفِيُّ فِي قَوْلِهِ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ أَحَدٌ بِعَمَلِهِ " بَاءُ الْعِوَضِ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ الْعَمَلُ كَالثَّمَنِ لِدُخُولِ الرَّجُلِ إِلَى الْجَنَّةِ، كَمَا زَعَمَتِ الْمُعْتَزِلَةُ أَنَّ الْعَامِلَ مُسْتَحِقٌّ دُخُولَ الْجَنَّةِ عَلَى رَبِّهِ بِعَمَلِهِ! بَلْ ذَلِكَ بِرَحْمَةِ اللهَّ وَفَضْلِهِ. وَالْبَاءُ الَّتِي فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:{ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (١) وَنَحْوُهَا، بَاءُ السَّبَبِ، أَيْ بِسَبَبِ عَمَلِكُمْ ، وَاللهُّ تَعَالَى هُوَ خَالِقُ الْأَسْبَابِ وَالْمُسَبَّبَاتِ، فَرَجَعَ الْكُلُّ إِلَى مَحْضِ فَضْلِ اللهَّ وَرَحْمَتِهِ(٢).

فلا يقع في هذا الوجود شيء إلا بإذن الله، والأسباب تفعل فعلها، وتظهر آثارها بإذن الله.. فلو عرض الإنسان يده للنار فإنها تحترق، ولكن هذا الاحتراق لا يكون إلا بإذن الله، فالله هو الذي أودع النار خاصية الحرق، وأودع يدك خاصية الاحتراق بها.

---

(١) سورة فُصِّلَتْ _ الآية ١٧ .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية» أفعال العباد» الرد على الجبرية والمعتزلة في مسألة الكلام- علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي.

وهو سبحانه قادر أن يوقف هذه الخاصية حين لا يأذن لحكمة يريدها، كما وقع لإبراهيم - ﷺ- حين ألقي في النار، فالنار تشتعل ولكن الله منعها من حرق إبراهيم، بل جعلها برداً وسلاماً عليه كما قال سبحانه: { قُلْنَا يَانَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ } (١).

وكذلك السحر الذي يفرقون به بين المرء وزوجه ينشئ هذا الأثر بإذن الله، والله قادر أن يوقف هذا الأثر فيه حين لا يأذن لحكمة يريدها كما قال سبحانه عن السحرة: { فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ}(٢) ، والأمر كله لله، والله لا مقيد لمشيئته، فالمشيئة التي تريد النتيجة، هي ذاتها التي تيسر الأسباب.

فلا تعارض بين تعليق النصر بالمشيئة ووجود الأسباب، وهذا الكون وما يجري فيه كله يسير وفق مشيئة الله: { لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ } (٣)، فالعقيدة الصحيحة ترد الأمر كله لله، ولكنها لا تعفي البشر من الأخذ بالأسباب المشروعة، والتي من شأنها أن تظهر النتائج إلى عالم الشهادة والواقع بأمر الله.

---

(١) سورة الأنبياء – الآية ٦٩.

(٢) سورة البقرة- الآية ١٠٢ .

(٣) سورة الروم _ الآيتان ٤، ٥.

أما إن تحقق تلك النتائج فعلاً أو لا تحقق فليس داخلاً في التكليف، لأن مرد ذلك في النهاية إلى تدبير الله، فالتوكل مقيد بالأخذ بالأسباب، ورد الأمر بعد ذلك إلى الله وحده، وهذا محل الابتلاء.

وظاهر الأسباب في الدنيا هو من أساس حكمة الحياة، أن يكون ظاهراً أمامك أن هذا يعطي، وهذا يمنع.. وهذا يستطيع أن يعطيك المال والخير، وهذا يستطيع أن يمنع عنك الرزق.

وأنت إما أن تندفع لإرضاء بشر على حساب معصية الله، وإما أن تلتزم بمنهج الله ولا تخشى أحداً.

فظاهرية الملك .. وظاهرية الأسباب .. لازمة في الحياة الدنيا .. غير لازمة في الآخرة.. ولذلك فإن هذا الظاهر، وهذه الأسباب، كل ذلك يختفي في الآخرة، ويكون الشيء مباشرة من الله لعبيده.

لماذا؟ .. لأن الآخرة هي دار الخلود، وليست مرحلة اختبار للعباد.

فظاهر الملك في الدنيا لأحد غير الله، هو أمر تقتضيه طبيعة الحياة الدنيا، منأنها امتحان يمر به الإنسان، ليوصله إلى الجنة أو النار.

أما في الآخرة فظاهر الملك يختفي كما تختفي الأسباب: {يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ } (١).

---

(١) سورة غافر _ الآية ١٦ .

والله تبارك وتعالى كما أنه خالق كل شيء، فهو مالك كل شيء، ومدبر كل شيء، ولكنه استخلفنا في الدنيا في مال أو حكم أو سلطان بإذنه وبأمره، متى شاء وكيف شاء، كما قال سبحانه: { وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ }(١) .

فالله عزَّ وجلَّ استخلفنا في الأرض والأموال والمناصب ليرى ماذا نفعل؟ هل نطيعه فيها أم نعصيه؟ .. وهل نعتمد عليها، أم نتوكل على الله وحده؟. كما قال سبحانه: { قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ } (٢).

والله سبحانه خلق ما في الأرض جميعاً، وخلق لها الأسباب التي تحصل بها، والعوامل التي تحكمها، إظهاراً لكمال قدرته، وابتلاء العباد.

ولكن هذه العوامل والأسباب لا يمكن أن تكون قيداً على قدرة الله سبحانه، ذلك أن الله لو قضى بالأسباب وحدها في الأرض، لعبد الناس الأسباب وحدها، ونسوا المسبب الخالق سبحانه.

ولذلك بقيت طلاقة قدرة الله في الكون، لتلفت الناس إلى أن الذي خلق الأسباب، لا تقيده هذه الأسباب في قدرته.

فله سبحانه سنة .. وله قدرة .. فسنته جارية .. وقدرته مطلقة لا يحكمها شيء.

---

(١) سورة الحديد _ الآية ٧ .

(٢) سورة الأعراف _ الآية ١٢٩.

وهو يفعل ما يشاء في أي وقت شاء، ولكن ظهور القدرة لا يحدث إلا بين حين وآخر، لأنها ليست حكم الله في الدنيا ولا سنته، ولا هي وسيلة الحياة فيها.

وإذا حدثت طلاقة القدرة كل يوم انتفت الأسباب، ولم يعد لأسباب الدنيا وجود، ولكنها تأتي لفتة كما خرج الماء من الحجر لموسى - ﷺ- كما قال سبحانه: { وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ } (١) ، وكما خرج الماء من بين أصابع الرسول - ﷺ- في الحديبية وفي الزَّوْرَاءِ (٢).

فظهور قدرة الله أحياناً، تلفت الناس إلى القدرة الإلهية التي هي فوق الأسباب، حتى لا تعبد الأسباب، وهي في مجيئها مكلفة من الله سبحانه بأمره.

فقد ينخفض محصول القمح مثلاً، مع أن الأسباب اللازمة كلها متوفرة، ولكن الأرض رفضت أن تنفعل بالأسباب بأمر الله، لماذا؟إنها لفتة من الله حتى لا نعبد الأسباب، ونترك الله.

فالدنيا دار الأسباب والعمل، وتظهر قدرة الله أحياناً بدون الأسباب لمن شاء وهم المؤمنون، ولكن سنة الله وقدرته في الحياة الدنيا عموماً تظهر بالأسباب، لأن ظهور القدرة الإلهية مباشرة بدون الأسباب في الآخرة.

---

(١) سورة البقرة _ الآية ٦٠ .

(٢)عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ أُتِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِنَاءٍ وَهُوَ بِالزَّوْرَاءِ فَوَضَعَ يَدَهُ فِي الْإِنَاءِ فَجَعَلَ الْمَاءُ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ فَتَوَضَّأَ الْقَوْمُ قَالَ قَتَادَةُ قُلْتُ لِأَنَسٍ كَمْ كُنْتُمْ قَالَ ثَلَاثَ مِائَةٍ أَوْ زُهَاءَ ثَلَاثِ مِائَةٍ.(صحيح البخاري» كتاب المناقب» باب علامات النبوة في الإسلام _ رقم الحديث ٣٣٧٩).

فكل شيء في الآخرة يأتي العبد بمجرد ما يجول في خاطره أو يفكر فيه، لا عمل في الآخرة ولا سعي، وإنما نعيم ورضوان من الله، وعطاء بلا حدود ولا نفاد.

أما في الدنيا فهناك طريق الأسباب لعموم الناس، ومعه عطاء الرب بلا أسباب، وهذا خاص بالمؤمنين.

وأرزاق الأحياء مخفية وراء الأسباب التي أمرنا الله بها، ولكن الله يعطي إذا شاء بغير حساب، وبغير أسباب، لمن شاء من عباده كما قال سبحانه عن مريم: {كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَامَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ } (١).

فالأسباب ليس بيدها شيء، ولكنها وسيلة للحصول على الرزق الذي كتبه الله للعبد، ولذلك أمرنا الله بذكره عند مباشرة الأسباب كما قال سبحانه: {فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } (٢).

فالأرزاق كلها بيد الرزاق وحده، والأسباب وسيلة للوصول إليها، والله خالق الرزق، وخالق المرزوق، وخالق السبب الموصل إلى الرزق: { ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ } (٣).

والاستعانة بالله في كل عمل استعانة بالقادر الذي لا يعجزه شيء، ورد الفعل إلى الفاعل الذي بيده كل شيء.

---

(١) سورة آل عمران _ ٣٧.

(٢) سورة الجمعة _ الآية ١٠.

(٣) سورة الأنعام _ الآية ١٠٢ .

فالأسباب تعمل بأمر الله، ونسبة العمل إلى الأسباب وحدها تبعدنا عن الله سبحانه.

فالله مالكها، ومالك الكون كله، وهي لا تخرج عن تدبيره وأمره.

ولقد مكن الله بعض خلقه من الأسباب الظاهرة في الأرض، فهذا رئيس دولة .. وهذا ميسر له أسباب النفوذ والسلطان .. وهذا ميسر له أسباب المال، وجعل الله العطاء ظاهراً فقط من هذه الأسباب ليسير الكون فماذا حدث؟.

لقد ظن أكثر الناس أن عطاء الأسباب في يد هؤلاء وحدهم، وأن مخالفتهم ستؤدي إلى الحرمان من مقومات الحياة، وأن طاعتهم ولو في معصية الله ستعطي الإنسان الحياة الرغدة التي يتمناها، فماذا حصل؟.

لقد وقف الناس بأبوابهم لا يرجون إلا إياهم، ولا يخافون إلا منهم، وازدحم الناس على باب العبد الفقير، أما باب الملك الغني القوي العزيز فقلما يقف عليه أحد، وهذه خطورة الأخذ بالأسباب وحدها.

وهي خطورة تعرض الكون كله للاختلال والفساد، وتكثر من البغي في الأرض، والشرك بالله، والإعراض عنه، والاعتماد على غيره.

فالأسباب نؤمن بها ولا نتوكل عليها، بل نباشرها ونتوكل على الله وحده.

وما من أمة عبدت الأسباب، إلا انتشر فيها الظلم، وعم فيها الإرهاب والفوضى، وضاع فيها الحق، وقام فيها سوق الباطل، واستعبد فيها الإنسان، وضل عن ربه، وحل بها البلاء والعقوبة، كما حكى الله أحوال أهل الأسباب في سورة الأعراف وهود والشعراء.

إن ظهور القدرة الإلهية، بجانب الأسباب تنبيه للناس ليعلموا أن الله هو الذي أعطى الأسباب، ويستطيع كما أعطاها أن يمنعها، فهو الذي بيده كل شيء.. فمن ترك المسبب وعبد السبب فقد ضل.

فمن كان يملك الجاه والسلطان ثم أصبح طريداً لا يجد من يصافحه.

ومن ينتقل من الحكم إلى السجن، ومن يخرج من السجن إلى الحكم، ومن كان يملك الثروة والأموال ثم أصبح فقيراً تجمع له الصدقات.

كل ذلك وغيره يحدث أمامنا ليذكرنا بقدرة الله وحكمته ومشيئته، وأنه هو الذي يعطي الملك والجاه والسلطان، وهو الذي يسلبها إذا شاء.

فإذا عبد الناس هذه الأسباب، وانطلقوا يسجدون لها أزالها الله، ولكن لماذا؟.

لكي يفيق الناس ويعلموا أن الله هو الذي أعطى الأسباب، وأن هذه الأسباب ليست ذاتية للحاكم أو الغني.

ولو كانت ذاتية لما زالت عنه، بل جميع المخلوقات والأسباب ملك لله وحده: { قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } (١).

وجميع الأسباب التي خلقها الله في قبضة الله، فهي لا تعمل بذاتها، ولا تعطي بذاتها، وإنما تعمل وتعطي بإرادة الله، الذي هو على كل شيء قدير، والذي ترى

---

(١) سورة آل عمران ـ الآية ٢٦.

قدرته في ضعيف ينصره الله على قوي كما نصر الله موسى على الطاغية الجبار فرعون، ونرى قدرته في مظلوم ينصره الله على ظالم.

وحين تضيق الأسباب وتعجز، يأتي فرج الله كما قال سبحانه للنبي -ﷺ- وأصحابه: { وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ }(١) .

فإذا انتصر قوي على ضعيف فهنا ظهور قدرة الله بالأسباب، وإذا انتصر ضعيف على قوي فهنا ظهور قدرة الله بضد الأسباب، وتارة تظهر قدرة الله بدون الأسباب: { إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } (٢) .

والمؤمن إذا عزت عليه الأسباب توجه إلى ربه فسأله، لأنه يعلم أنه إذا كانت الأسباب لا تعطيه، فإن الله الذي خلق كل شيء، وبيده كل شيء قادر أن يعطيه بدون الأسباب، وينجيه كما أنجى يونس في الظلمات حين ناداه: {فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ } (٣).

وكما طلب زكريا الولد مع كبر سنه وسن زوجته فاستجاب الله له كما قال سبحانه: { يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ

---

(١) سورة الأنفال _ الآية ٢٦.

(٢) سورة يس _ الآية ٨٢.

(٣) سورة الأنبياء_ الآيتان ٨٧، ٨٨.

سَمِيًّا * قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا * قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا }(١).

ولكل مؤمن حظ من الاستفادة من قدرة الله فإن الله لا يعجزه شيء، والمؤمن لا ييأس كما أمره الله بقوله: {وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ } (٢).

فحين تضيق الأسباب بالناس، وتغلق الدنيا أبوابها أمامهم، الكافر وغير المؤمن بالله يصيبه يأس قاتل ينتهي به إما إلى الجنون أو الانتحار.

أما المؤمن بقضاء الله وقدره فيظل ثابتاً لا تزعزعه الأحداث، ويتوجه إلى ربه وهو مؤمن بأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن الله سيجعل له بعد العسر يسراً، ويجعل له بعد الكرب فرجاً ومخرجاً: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا } (٣)(٤).

(١) سورة مريم _ الآيات من ٧ : ٩.
(٢) سورة يوسف ٨٧ .
(٣) سورة الطلاق _ الآيتان ٢ ، ٣ .
(٤) انظر كتاب فقه القلوب _ الباب الرابع _ كتاب الإيمان – فقه خلق الأسباب.

طريق
إصلاح اليقين في القلب

يتغير اليقين بدعوة الناس:

١. من المخلوق إلى الخالق.
٢. من الأسباب والأشياء إلى الله تعالى.
٣. من الدنيا إلى الآخرة.

أولا: من المخلوق إلى الخالق:

قال تعالى:﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾(١).

وقال تعالى:﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾(٢).

وقال تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ * فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ

(١) سورة آل عمران – الآيتان ٢٦، ٢٧.
(٢) سورة الأنعام – الآية ٥٩.

الْآفِلِينَ * فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ * فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ * وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾(١).

وإليك بعض الأمثلة:

المثال الأول: قصة إبراهيم والنمرود: عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ : قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ (ﷺ) حِينَ قَالُوا: (إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) " رواه الْبُخَارِيُّ .

فإبراهيم عندما أتته الملائكة فلم يلتفت لهم، بل توجه إلى الله تعالى.

فقَدْ رُوِيَ أَنَّ جِبْرِيلَ قَالَ : هَلْ لَك مِنْ حَاجَةٍ ؟ قَالَ " أَمَّا إلَيْك فَلَا " وَقَدْ ذَكَرَ هَذَا الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ(٢) .

---

(١) سورة الأنعام – الآيات من ٧٤ : ٨١.

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية» العقيدة» كتاب توحيد الألوهية» رسالة في التوسل والوسيلة» حكم سُؤَالِ الْخَلْقِ الْحَاجَاتِ الدُّنْيَوِيَّةَ.

المثال الثاني: والنبي في الغار ما نظر للأسباب، بل نظر إلى معية الله: فعن أبي بكر الصديق ﷺ قال: قلت للنبي ﷺ وأنا في الغار: لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَى قَدَمَيْهِ لأَبْصَرَنَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ (ﷺ):" يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا ؟ ". وفي رواية: « عَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قَالَ : كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْغَارِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِأَقْدَامِ الْقَوْمِ ، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ لَوْ أَنَّ بَعْضَهُمْ طَأْطَأَ بَصَرَهُ رَآنَا ، قَالَ: " اسْكُتْ يَا أَبَا بَكْرٍ اثْنَانِ اللهُ ثَالِثُهُمَا " .أخرجه البخاري(١).

المثال الثالث: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا ، فَقَالَ : يَا غُلَامُ ، " إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ : احْفَظْ اللهَ يَحْفَظْكَ احْفَظْ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ " ، قَالَ : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ (٢).

المثال الرابع: عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَخْبَرَ أَنَّهُ غَزَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قِبَلَ نَجْدٍ فَلَمَّا قَفَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَفَلَ مَعَهُ فَأَدْرَكَتْهُمْ الْقَائِلَةُ فِي وَادٍ كَثِيرِ الْعِضَاهِ فَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَتَفَرَّقَ النَّاسُ يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ فَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) تَحْتَ سَمُرَةٍ وَعَلَّقَ بِهَا سَيْفَهُ وَنِمْنَا نَوْمَةً فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْعُونَا وَإِذَا عِنْدَهُ

---

١) رياض الصالحين _ باب اليقين والتوكل.

٢) سنن الترمذي _ رقم الحديث:(٢٤٥٣)، مسند أحمد بن حنبل » مُسْنَدُ الْعَشَرَةِ الْمُبَشَّرِينَ بِالْجَنَّةِ ... » وَمِنْ مُسْنَدِ بَنِي هَاشِمٍ- رقم الحديث: (٢٦٦٠) وغيرهما .

أَعْرَابِيٌّ (١) فَقَالَ:" إِنَّ هَذَا اخْتَرَطَ عَلَيَّ سَيْفِي وَأَنَا نَائِمٌ فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ فِي يَدِهِ صَلْتًا فَقَالَ مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي فَقُلْتُ اللهُ ثَلَاثًا وَلَمْ يُعَاقِبْهُ وَجَلَسَ " مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وفي رواية قَالَ جَابِرٌ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ بِذَاتِ الرِّقَاعِ، فَإِذَا أَتَيْنَا عَلَى شَجَرَةٍ ظَلِيلَةٍ تَرَكْنَاهَا لرسول الله ﷺ فجاء رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَسَيفُ رَسُول الله ﷺ معَلَّقٌ بالشَّجَرَةِ فَاخْتَرطَهُ، فَقَالَ: تَخَافُنِي ؟ قَالَ: " لاَ " فَقَالَ :" فَمَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟" قَالَ :" الله ".

وفي رواية أبي بكر الإسماعيلي في صحيحه"، قَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ: "اللهُ ".قَالَ: فَسَقَطَ السيفُ مِنْ يَدِهِ، فَأَخَذَ رسولُ الله ﷺ السَّيْفَ، فَقَالَ:" مَنْ يَمْنَعُكَ مني ؟ ". فَقَالَ: كُنْ خَيرَ آخِذٍ. فَقَالَ:" تَشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ الله وَأَنِّي رَسُول الله ؟" قَالَ: لاَ، وَلَكنِّي أُعَاهِدُكَ أنْ لا أُقَاتِلَكَ، وَلاَ أَكُونَ مَعَ قَومٍ يُقَاتِلُونَكَ، فَخَلَّى سَبيلَهُ، فَأَتَى أصْحَابَهُ، فَقَالَ: جئتُكُمْ مِنْ عنْد خَيْرِ النَّاسِ (٢).

المثال الخامس: فِي الْمُسْنَدِ لِأَحْمَدَ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصَّدِيقَ كَانَ يَسْقُطُ السَّوْطُ مِنْ يَدِهِ فَلَا يَقُولُ لِأَحَدٍ نَاوِلْنِي إيَّاهُ وَيَقُولُ : إنَّ خَلِيلِي أَمَرَنِي أَنْ لَا أَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئًا (٣).

عَنْ أَبِي مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِيِّ قَالَ: حَدَّثَنِي الْحَبِيبُ الْأَمِينُ أَمَّا هُوَ فَحَبِيبٌ إِلَيَّ وَأَمَّا هُوَ عِنْدِي فَأَمِينٌ عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيُّ قَالَ :كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) تِسْعَةً أَوْ

---

١) اسمه: غورث بن الحارث.

(٢) رياض الصالحين _ باب اليقين والتوكل.

(٣) منهاج السنة النبوية» الفصل الثالث في الأدلة الدالة على إمامة علي رضي الله عنه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم» المنهج الثالث عند الرافضي في الأدلة المستندة إلى السنة على إمامة علي رضي الله عنه» الثامن حديث الطائر، مجموع فتاوى ابن تيمية» العقيدة» كتاب توحيد الألوهية» رسالة في التوسل والوسيلة» حكم سُؤَالِ الْخَلْق الْحَاجَاتِ الدُّنْيَوِيَّةَ.

ثَمَانِيَةً أَوْ سَبْعَةً، فَقَالَ:" أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللهِّ ؟" وَكُنَّا حَدِيثَ عَهْدٍ بِبَيْعَةٍ، فَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللهِّ ! ثُمَّ قَالَ:" أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللهِّ ؟" فَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللهِّ! ثُمَّ قَالَ أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللهِّ؟ قَالَ فَبَسَطْنَا أَيْدِيَنَا وَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللهِّ فَعَلَامَ نُبَايِعُكَ؟ قَالَ:" عَلَى أَنْ تَعْبُدُوا اللهَّ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَالصَّلَوَاتِ الْخُمْسِ وَتُطِيعُوا - وَأَسَرَّ كَلِمَةً خَفِيَّةً - وَلَا تَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئًا "فَلَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ أُولَئِكَ النَّفَرِ يَسْقُطُ سَوْطُ أَحَدِهِمْ فَمَا يَسْأَلُ أَحَدًا يُنَاوِلُهُ إِيَّاهُ (١)(٢).

المثال السادس: يونس (عليه السلام) في بطن الحوت، وهو مكان الهلاك ، توجه إلى الله تعالى {وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ* فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ }(٣).

يقول الشيخ محمد عمر البالبوري (رحمه الله): بتعظيم الأمر، يأتي عظمة الآمر في القلب، وبعظمة الآمر يسهل امتثال الأوامر .. فلا بد من بيان عظمة الله وكبريائه، كما قال الله تعالي: { وَلَهُ الْكِبْرِيَاء فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }(٤)، وقال تعالي: {وَقُلِ الْحَمْدُ للهِّ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن

---

(١) صحيح مسلم» كتاب الزكاة» باب كراهة المسألة للناس(١٠٤٣).

(٢) وَفِيهِ: الْحَثُّ عَلَى التَّنْزِيهِ عَنْ جَمِيعِ مَا يُسَمَّى سُؤَالًا وَإِنْ كَانَ حَقِيرًا (شرح النووي).

(٣) سورة الأنبياء _ الآية ٨٧، ٨٨.

٤) سورة الجاثية _ الآية ٣٧.

لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا }(١) وقال تعالي :{وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ }(٢). فنكبر الله ﷻ ونصغر كل ما سواه، نكبر الله ﷻ ونصغر السماوات السبع ، نكبر الله ﷻ ونصغر الأرضين السبع، نكبر الله ﷻ ونصغر الجبال ، نكبر الله ﷻ ونصغر البحار، نكبر الله ﷻ ونصغر النيران، نكبر الله ﷻ ونصغر طواغيت الزمان، كما كبر الصحابة رضي الله عنهم الله ﷻ وصغروا كل ما سواه .

ومن سنة الله ﷻ : لما نكبر الله ﷻ ونصغر ما سواه، فيسخر الله لنا ما سواه، وهذا هو السر لتسخير البحار والنيران والسباع والأسود والهواء لأصحاب محمد ﷺ.. لأنهم صغروا كل مخلوق فسخر الله لهم كل مخلوق. (٣).

التفصيل: يقول الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي (رحمه الله):

- الله ﷻ قادر على إزالة الجوع بدون الطعام(كأصحاب الكهف، والملائكة لا يأكلون ولا يشربون وطعامهم التسبيح والتهليل، وكذلك في آخر الزمان الذين يكونوا مع سيدنا عيسى على جبل الطور يكون طعامهم التسبيح والتهليل كالملائكة، والناس في أرض المحشر خمسين ألف سنة لا يأكلون ولا يشربون إلا من يشرب من حوض النبي).
- والله قادر على إزالة العطش بدون الماء.
- وقادر على إعطاء الشفاء بدون الدواء .

---

١) سورة الإسراء _ الآية ١١١.

٢) سورة المدثر _ الآية ٣.

٣) كتاب روائع العلامة محمد عمر البالمبوري بقلم المؤلف.

- وقادر على خلق الثمر بدون الشجر.
- وقادر على خلق الإنسان وتربيته بدون الوالدين .
- وقادر على إنبات النبات بدون المطر.
- وقادر على إحراق الشيء بدون النار .
- وقادر على قضاء الحوائج بدون أي سبب وأي كسب .
- وقادر على إعطاء العزة في صورة الذلة وقادر على إنزال الذلة في صورة العزة.
- وقادر على إعطاء النجاة في صورة الهلاك، وعلى إعطاء الهلاك في صورة النجاة.
- وقادر على إعطاء الغلبة لفئة قليلة بدون السلاح.
- وقادر على إتيان الخوف في صورة الأمن ، والأمن في صورة الخوف.

وخلاصة الكلام: أن العزة والذلة والمرض والصحة والضر والنفع والأمن والخوف والصلح والحرب والفتح والهزيمة والضحك والبكاء والفقر والغنى والحياة والموت ..الخ . كل ذلك بيد الله ﷻ وتصرفه وهو لا يحتاج إلى أحد من خلقه ولا إلى أي سبب والمخلوقات كلها محتاجة إلى الله في خلقهم وصفاتهم واستعمالهم والمخلوقات كلها لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ولا يملكون ضراً ولا نفعاً (١).

---

١) الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي – مؤلف حياة الصحابة .

ثانيا: من الأشياء والأسباب إلى الأعمال:

قال تعالى:{ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا }(١).

وقال تعالى:{ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ}(٢).

وقال تعالى:{ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هُذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ* هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ * فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ}(٣).

وإليك بعض الأمثلة من السنة والسيرة:

المثال الأول: عن عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ سَلْمَانَ أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ حَدَّثَهُ قَالَ لَمَّا فَتَحْنَا خَيْبَرَ أَخْرَجُوا غَنَائِمَهُمْ مِنْ الْمَتَاعِ وَالسَّبْيِ فَجَعَلَ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ غَنَائِمَهُمْ فَجَاءَ رَجُلٌ حِينَ صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! لَقَدْ رَبِحْتُ رِبْحًا مَا رَبِحَ الْيَوْمَ مِثْلَهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ هَذَا الْوَادِي قَالَ وَيْحَكَ وَمَا رَبِحْتَ قَالَ مَا

---

١) سورة نوح _ الآيات من ١٠: ١٢ .

٢) سورة هود _ الآية ٥٢.

٣) سورة آل عمران _ الآيات ٣٧: ٣٩.

زِلْتُ أَبِيعُ وَأَبْتَاعُ حَتَّى رَبِحْتُ ثَلَاثَ مِائَةِ أُوقِيَّةٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِّ ﷺ: أَنَا أُنَبِّئُكَ بِخَيْرِ رَجُلٍ رَبِحَ قَالَ مَا هُوَ يَا رَسُولَ اللهِّ؟ قَالَ:" رَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الصَّلَاةِ "(١).فالنبي وجهه للأعمال.

المثال الثاني: عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُّ عَنْهُ أَنَّ مُكَاتَبًا جَاءَهُ فَقَالَ: إِنِّي قَدْ عَجَزْتُ عَنْ كِتَابَتِي فَأَعِنِّي، قَالَ: أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ عَلَّمَنِيهِنَّ رَسُولُ اللهِّ (ﷺ) ، لَوْ كَانَ عَلَيْكَ مِثْلُ جَبَلِ ثبيرٍ(٢) دَيْنًا أَدَّاهُ اللهُّ عَنْكَ ؟ قَالَ: قُلْ: (اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ، وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ) رواه الترمذي وحسنه الألباني في صحيح الترمذي.

المثال الثالث: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلّى الله عليه وسلّم لِمُعَاذٍ رضي الله عنه: ((أَلاَ أُعَلِّمُكَ دُعَاءً تَدْعُو بِهِ لَوْ كَانَ عَلَيْكَ مِثْلُ جَبَلِ أُحُدٍ دَيْنًا لَأَدَّاهُ اللهُ عَنْكَ ؟ قُلْ يَا مُعَاذُ: اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ، وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ، وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ، وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ، بِيَدِكَ الخَيْرُ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، رَحْمَانَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَرَحِيمَهُمَا، تُعْطِيهُمَا مَنْ تَشَاءُ وَتَمْنَعُ مِنْهُمَا مَنْ تَشَاءُ، اِرْحَمْنِي رَحْمَةً تُغْنِينِي بِهَا عَنْ رَحْمَةِ مَنْ سِوَاكَ)) (٣).

المثال الرابع :عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِّ، سَمِعْتُ دُعَاءَكَ اللَّيْلَةَ، فَكَانَ الَّذِي وَصَلَ إِلَيَّ مِنْهُ أَنَّكَ تَقُولُ: (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي

---

١) سنن أبي داود » كتاب الجهاد» بَاب فِي التِّجَارَةِ فِي الْغَزْوِ (٢٧٨٥).

٢) جبل باليمن، وقيل بالقرب من مكة، وفي رواية صبير جبل لطيء.

٣) رواه الطّبراني في " الأوسط " بسند جيّد، وصحّحه الألباني في " صحيح التّرغيب والتّرهيب ".

ذَنْبِي، وَوَسِّعْ لِي فِي دَارِي، وَبَارِكْ لِي فِيمَا رَزَقْتَنِي. قَالَ: فَهَلْ تَرَاهُنَّ تَرَكْنَ شَيْئًا؟)
وحسنه الألباني في صحيح الترمذي.

المثال الخامس : فِي " سُنَنِ أبي داود " عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- ذَاتَ يَوْمٍ الْمَسْجِدَ فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ أَبُو أُمَامَةَ فَقَالَ « يَا أَبَا أُمَامَةَ مَا لِي أَرَاكَ جَالِسًا فِي الْمَسْجِدِ فِي غَيْرِ وَقْتِ الصَّلاَةِ ». قَالَ هُمُومٌ لَزِمَتْنِي وَدُيُونٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ « أَفَلاَ أُعَلِّمُكَ كَلاَمًا إِذَا أَنْتَ قُلْتَهُ أَذْهَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَمَّكَ وَقَضَى عَنْكَ دَيْنَكَ ». قَالَ قُلْتُ بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ « قُلْ إِذَا أَصْبَحْتَ وَإِذَا أَمْسَيْتَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ وَالْبُخْلِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ وَقَهْرِ الرِّجَالِ ». قَالَ فَفَعَلْتُ ذَلِكَ فَأَذْهَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَمِّى وَقَضَى عَنِّى دَيْنِ.

المثال السادس: قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ : جَاءَ مَالِكٌ الْأَشْجَعِيُّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ- فَقَالَ : لَهُ أُسِرَ ابْنِي عَوْفٌ . فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : " أَرْسِلْ إِلَيْهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ يَأْمُرُكَ أَنْ تُكْثِرَ مِنْ قَوْلِ : لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ " . وَكَانُوا قَدْ شَدُّوهُ بِالْقِدِّ فَسَقَطَ الْقِدُّ عَنْهُ ، فَخَرَجَ ، فَإِذَا هُوَ بِنَاقَةٍ لَهُمْ فَرَكِبَهَا، وَأَقْبَلَ فَإِذَا بِسَرْحِ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَانُوا قَدْ شَدُّوهُ فَصَاحَ بِهِمْ ، فَاتَّبَعَ أَوَّلُهَا آخِرَهَا ، فَلَمْ يَفْجَأْ أَبَوَيْهِ إِلَّا وَهُوَ يُنَادِي بِالْبَابِ، فَقَالَ أَبُوهُ: عَوْفٌ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ . فَقَالَتْ أُمُّهُ : وَاسَوْأَتَاهْ . وَعَوْفٌ كَيْفَ يَقْدَمُ لِمَا هُوَ فِيهِ مِنَ الْقِدِّ - فَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَالْخَادِمَ ، فَإِذَا عَوْفٌ قَدْ مَلَأَ الْفِنَاءَ إِبِلًا فَقَصَّ عَلَى أَبِيهِ أَمْرَهُ ، وَأَمْرَ الْإِبِلِ، فَقَالَ أَبُوهُ : قِفَا حَتَّى آتِيَ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - فَأَسْأَلُهُ عَنْهَا . فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - فَأَخْبَرَهُ بِخَبَرِ عَوْفٍ ، وَخَبَرِ الْإِبِلِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : " اصْنَعْ بِهَا مَا أَحْبَبْتَ،

وَمَا كُنْتَ صَانِعًا بِمَالِكَ". وَنَزَلَ: { وَمَنْ يَتَّقِ اللهَّ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ } (١).

المثال: السابع: عَنْ سُوَيْدِ بْنِ غَفْلَةَ ، قَالَ : أَصَابَتْ عَلِيًّا خَصَاصَةٌ . فَقَالَ لِفَاطِمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: لَوْ أَتَيْتِ النَّبِيَّ ﷺ فَسَأَلْتِيهِ. فَأَتَتْهُ، وَكَانَ عِنْدَ أُمِّ أَيْمَنَ ، فَدَقَّتِ الْبَابَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأُمِّ أَيْمَنَ : إِنَّ هَذَا لَدَقُّ فَاطِمَةَ ، وَلَقَدْ أَتَتْنَا فِي سَاعَةٍ مَا عَوَّدَتْنَا أَنْ تَأْتِيَنَا فِي مِثْلِهَا ، قُومِي فَافْتَحِي لَهَا ". قَالَتْ: فَفَتَحْتُ لَهَا الْبَابَ. فَقَالَ: " يَا فَاطِمَةُ لَقَدْ أَتَيْتِنَا فِي سَاعَةٍ مَا عَوَّدْتِنَا أَنْ تَأْتِيَنَا فِي مِثْلِهَا ". فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهَّ هَذِهِ الْمَلائِكَةُ طَعَامُهَا التَّهْلِيلُ وَالتَّسْبِيحُ وَالتَّحْمِيدُ، فَمَا طَعَامُنَا ؟ فَقَالَ: " وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ مَا اقْتُبِسَ فِي آلِ مُحَمَّدٍ نَارٌ مُنْذُ ثَلاثِينَ يَوْمًا، وَقَدْ أَتَتْنَا أَعْنُزٌ، فَإِنْ شِئْتِ أَمَرْتُ لَكِ بِخَمْسَةِ أَعْنُزٍ، وَإِنْ شِئْتِ عَلَّمْتُكِ خَمْسَ كَلِمَاتٍ عَلَّمَنِيهِنَّ جِبْرِيلُ آنِفًا ". قَالَتْ: بَلَى عَلِّمْنِي خَمْسَ كَلِمَاتٍ الَّتِي عَلَّمَكَهُنَّ جِبْرِيلُ . قَالَ: " قُولِي : يَا أَوَّلَ الأَوَّلِينَ ، وَيَا آخِرَ الآخِرِينَ ، وَيَا ذَا الْقُوَّةِ الْمَتِينَ، وَيَا رَاحِمَ الْمَسَاكِينِ، وَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ" قَالَ : فَانْصَرَفْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَى عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَقَالَ: مَا وَرَاءَكِ ؟ فَقَالَتْ ذَهَبْتُ مِنْ عِنْدِكَ إِلَى الدُّنْيَا، وَأَتَيْتُكَ بِالآخِرَةِ . فَقَالَ: خَيْرُ أَيَّامِكِ، خَيْرُ أَيَّامِكِ (٢).

المثال: الثامن: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ فَاطِمَةَ أَتَتِ النَّبِيَّ - ﷺ - تَسْأَلُهُ خَادِمًا وَشَكَتِ الْعَمَلَ، فَقَالَ: مَا أَلْفَيْتِيهِ عِنْدَنَا، قَالَ: " أَلا أَدُلُّكِ عَلَى مَا هُوَ خَيْرٌ لَكِ

---

١) تفسير ابن كثير ـ سورة الطلاق.

٢) أخرجه الطبراني في" الدعاء" (٣١٩/١) ، والشجري في "الأمالي الخميسية" (٣٢٥/١) . ومن طريق الطبراني :أبو الفرج الثقفي في "فوائده" (مخطوط).

مِنْ خَادِمٍ ؟ تُسَبِّحِينَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَتَحْمَدِينَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَتُكَبِّرِينَ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ حِينَ تَأْخُذِينَ مَضْجَعَكِ "(١).

وفي سنن أبي داود:" عَنْ ابْنِ أَعْبُدَ ، قَالَ : قَالَ لِي عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : أَلَا أُحَدِّثُكَ عَنِّي وَعَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكَانَتْ مِنْ أَحَبِّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ ؟ قُلْتُ: بَلَى قَالَ : إِنَّهَا جَرَّتْ بِالرَّحَى حَتَّى أَثَّرَ فِي يَدِهَا ، وَاسْتَقَتْ بِالْقِرْبَةِ حَتَّى أَثَّرَ فِي نَحْرِهَا وَكَنَسَتَ الْبَيْتَ حَتَّى اغْبَرَّتْ ثِيَابُهَا ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ خَدَمٌ ، فَقُلْتُ : لَوْ أَتَيْتِ أَبَاكِ فَسَأَلْتِيهِ خَادِمًا، فَأَتَتْهُ فَوَجَدَتْ عِنْدَهُ حُدَّاثًا فَرَجَعَتْ فَأَتَاهَا مِنَ الْغَدِ فَقَالَ: مَا كَانَ حَاجَتُكِ ؟ فَسَكَتَتْ ، فَقُلْتُ أَنَا أُحَدِّثُكَ : يَا رَسُولَ اللهِ جَرَّتْ بِالرَّحَى حَتَّى أَثَّرَتْ فِي يَدِهَا وَحَمَلَتْ بِالْقِرْبَةِ حَتَّى أَثَّرَتْ فِي نَحْرِهَا فَلَمَّا أَنْ جَاءَكَ الْخَدَمُ أَمَرْتُهَا أَنْ تَأْتِيَكَ فَتَسْتَخْدِمَكَ خَادِمًا يَقِيهَا حَرَّ مَا هِيَ فِيهِ، قَالَ : " اتَّقِي اللهَ يَا فَاطِمَةُ وَأَدِّي فَرِيضَةَ رَبِّكِ وَاعْمَلِي عَمَلَ أَهْلِكِ ، فَإِذَا أَخَذْتِ مَضْجَعَكِ، فَسَبِّحِي ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَاحْمَدِي ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَكَبِّرِي أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ فَتِلْكَ مِائَةٌ فَهِيَ خَيْرٌ لَكِ مِنْ خَادِمٍ " ، قَالَتْ : رَضِيتُ عَنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ(٢).

المثال الرابع: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ عَنْ رَسُولِ اللهِ -ﷺ- أَنَّهُ قَالَ:" بَيْنَمَا ثَلَاثَةُ نَفَرٍ يَتَمَشَّوْنَ أَخَذَهُمْ الْمَطَرُ فَأَوَوْا إِلَى غَارٍ فِي جَبَلٍ فَانْحَطَّتْ عَلَى فَمِ غَارِهِمْ صَخْرَةٌ مِنْ الْجَبَلِ فَانْطَبَقَتْ عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ: بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ انْظُرُوا أَعْمَالًا

---

١) صحيح مسلم » كِتَاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَار ... » بَاب التَّسْبِيحِ أَوَّلَ النَّهَارِ وَعِنْدَ النَّوْمِ – رقم الحديث: ٤٩١٣.

٢) سنن أبي داود » كِتَاب الْخَرَاجِ وَالْإِمَارَةِ وَالْفَيْءِ » بَاب فِي بَيَانِ مَوَاضِعِ قَسْمِ الْخُمُسِ وَسَهْمِ ...رقم الحديث: ٢٥٩٨.

عَمِلْتُمُوهَا صَالِحَةً للهِ فَادْعُوا اللهَ تَعَالَى بِهَا لَعَلَّ اللهَ يَفْرُجُهَا عَنْكُمْ فَقَالَ أَحَدُهُمْ اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَ لِي وَالِدَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ وَامْرَأَتِي وَلِي صِبْيَةٌ صِغَارٌ أَرْعَى عَلَيْهِمْ فَإِذَا أَرَحْتُ عَلَيْهِمْ حَلَبْتُ فَبَدَأْتُ بِوَالِدَيَّ فَسَقَيْتُهُمَا قَبْلَ بَنِيَّ وَأَنَّهُ نَأَى بِي ذَاتَ يَوْمٍ الشَّجَرُ فَلَمْ آتِ حَتَّى أَمْسَيْتُ فَوَجَدْتُهُمَا قَدْ نَامَا فَحَلَبْتُ كَمَا كُنْتُ أَحْلُبُ فَجِئْتُ بِالْحِلَابِ فَقُمْتُ عِنْدَ رُءُوسِهِمَا أَكْرَهُ أَنْ أُوقِظَهُمَا مِنْ نَوْمِهِمَا وَأَكْرَهُ أَنْ أَسْقِيَ الصِّبْيَةَ قَبْلَهُمَا وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ قَدَمَيَّ فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبِي وَدَأْبَهُمْ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ لَنَا مِنْهَا فُرْجَةً نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ فَفَرَجَ اللهُ مِنْهَا فُرْجَةً فَرَأَوْا مِنْهَا السَّمَاءَ وَقَالَ الْآخَرُ اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَتْ لِيَ ابْنَةُ عَمٍّ أَحْبَبْتُهَا كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرِّجَالُ النِّسَاءَ وَطَلَبْتُ إِلَيْهَا نَفْسَهَا فَأَبَتْ حَتَّى آتِيَهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ فَتَعِبْتُ حَتَّى جَمَعْتُ مِائَةَ دِينَارٍ فَجِئْتُهَا بِهَا فَلَمَّا وَقَعْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا قَالَتْ يَا عَبْدَ اللهِ اتَّقِ اللهَ وَلَا تَفْتَحْ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ فَقُمْتُ عَنْهَا فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ لَنَا مِنْهَا فُرْجَةً فَفَرَجَ لَهُمْ وَقَالَ الْآخَرُ اللَّهُمَّ إِنِّي كُنْتُ اسْتَأْجَرْتُ أَجِيرًا بِفَرَقِ أَرُزٍّ فَلَمَّا قَضَى عَمَلَهُ قَالَ أَعْطِنِي حَقِّي فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ فَرَقَهُ فَرَغِبَ عَنْهُ فَلَمْ أَزَلْ أَزْرَعُهُ حَتَّى جَمَعْتُ مِنْهُ بَقَرًا وَرِعَاءَهَا فَجَاءَنِي فَقَالَ اتَّقِ اللهَ وَلَا تَظْلِمْنِي حَقِّي قُلْتُ اذْهَبْ إِلَى تِلْكَ الْبَقَرِ وَرِعَائِهَا فَخُذْهَا فَقَالَ اتَّقِ اللهَ وَلَا تَسْتَهْزِئْ بِي(١).

انقطعت بهم كل الأسباب المادية، فتوسلوا إلى الله بالأعمال، فنجاهم الله.

---

١) صحيح البخاري» كتاب البيوع» باب إذا اشترى شيئا لغيره بغير إذنه فرضي _ باب إذا اشترى شيئا لغيره بغير إذنه فرضي (٢١٠٢)، صحيح مسلم» كتاب الرقاق» بَاب قِصَّةِ أَصْحَابِ الْغَارِ الثَّلَاثَةِ وَالتَّوَسُّلِ بِصَالِحِ الْأَعْمَالِ (٢٧٤٣) واللفظ لمسلم.

المثال العاشر: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: " بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ أَقْبَلَ شَيْخٌ يُقَالُ لَهُ قَبِيصَةُ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (مَا جَاءَ بِكَ ، وَقَدْ كَبِرَتْ سِنُّكَ ، وَرَقَّ عَظْمُكَ ؟) ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ ، كَبِرَتْ سِنِّي، وَرقَّ عَظْمِي ، وَضَعُفَتْ قُوَّتِي ، وَاقْتَرَبَ أَجَلِي . فَقَالَ: (أَعِدْ عَلَيَّ قَوْلَكَ) ، فَأَعَادَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): (مَا بَقِيَ حَوْلَكَ شَجَرٌ، وَلَا حَجَرٌ، وَلَا مَدَرٌ، إِلَّا بَكَى رَحْمَةً لِقَوْلِكَ ، فَهَاتِ حَاجَتَكَ ، فَقَدْ وَجَبَ حَقُّكَ ؟ (فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، عَلِّمْنِي شَيْئًا يَنْفَعُنِي اللهُ بِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَلَا تُكْثِرْ عَلَيَّ؛ فَإِنِّي شَيْخٌ نَسِيٌّ . قَالَ: " أَمَّا لِدُنْيَاكَ ، فَإِذَا صَلَّيْتَ الصُّبْحَ فَقُلْ بَعْدَ صَلَاةِ الصُّبْحِ : سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، يُوقِيكَ اللهُ مِنْ بَلَايَا أَرْبَعٍ : مِنَ الْجُذَامِ ، وَالْجُنُونِ ، وَالْعَمَى ، وَالْفَالِجِ .فَأَمَّا لِآخِرَتِكَ ، فَقُلِ : اللَّهُمَّ اهْدِنِي مِنْ عِنْدِكَ ، وَأَفِضْ عَلَيَّ مِنْ فَضْلِكَ ، وَانْشُرْ عَلَيَّ مِنْ رَحْمَتِكَ ، وَأَنْزِلْ عَلَيَّ مِنْ بَرَكَاتِكَ " فَقَالَهَا الشَّيْخُ ، وَعَقَدَ أَصَابِعَهُ الْأَرْبَعَ . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ: خَالُكَ هَذَا يَا رَسُولَ اللهِ ، مَا أَشَدَّ مَا ضَمَّ عَلَى أَصَابِعِهِ الْأَرْبَعِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَئِنْ وَفَّى بِهِنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَمْ يَدَعْهُنَّ، لَيُفْتَحَنَّ لَهُ أَرْبَعَةُ أَبْوَابٍ مِنَ الْجَنَّةِ، يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ " (١).

---

١) رواه الطبراني في "المعجم الكبير" (٩٤٠) ، وأبو نعيم في "المعرفة" (٥٧٤٢)، وابن الأثير في "أسد الغابة" (٣٦٦/٤)، وابن السني في "عمل اليوم والليلة" (١٣٣) واللفظ له ورواه الإمام أحمد (٢٠٦٠٢) عن رَجُل مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، عَنْ قَبِيصَةَ بْنِ الْمُخَارِقِ، قَالَ: " أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ لِي: (يَا قَبِيصَةُ مَا جَاءَ بِكَ؟)، قُلْتُ: كَبِرَتْ سِنِّي، وَرَقَّ عَظْمِي، فَأَتَيْتُكَ لِتُعَلِّمَنِي مَا يَنْفَعُنِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ، قَالَ: (يَا قَبِيصَةُ، مَا مَرَرْتَ بِحَجَرٍ، وَلَا شَجَرٍ، وَلَا مَدَرٍ، إِلَّا اسْتَغْفَرَ لَكَ، يَا قَبِيصَةُ، إِذَا صَلَّيْتَ=

المثال الحادي عشر: أخرج الخطيب في رُوَاة مَالك عَن ابْن عمر أَن رجلا قَالَ يَا رَسُول اللهّ إِن الدُّنْيَا أَدْبَرت عني وتولت قَالَ لَهُ:" فَأَيْنَ أَنْت من صَلَاة الْمَلَائِكَة وتسبيح الْخَلَائق وَبِه يرْزقُونَ، قل عِنْد طُلُوع الْفجْر سُبْحَانَ اللهّ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللهّ الْعَظِيم اسْتغْفر اللهّ مائَة، مرّة تَأْتِيك الدُّنْيَا صاغرة فولى الرجل فَمَكثَ ثمَّ عَاد فَقَالَ يَا رَسُول اللهّ لقد اقبلت عَليّ الدُّنْيَا فَمَا ادري أَيْن أضعها (١).

المثال الثاني عشر: عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ، قَالَ : خَرَجَ رَسُولُ اللهّ ﷺ وَنَحْنُ فِي الصُّفَّةِ (٢)، فَقَالَ : أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بُطْحَانَ، أَوْ إِلَى الْعَقِيقِ (١)،

= الْفَجْرَ، فَقُلْ: سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ، تُعَافَى مِنَ الْعَمَى، وَالْجُذَامِ، وَالْفَالِجِ، يَا قَبِيصَةُ، قُلْ: اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِمَّا عِنْدَكَ، وَأَفِضْ عَلَيَّ مِنْ فَضْلِكَ، وَانْشُرْ عَلَيَّ رَحْمَتَكَ، وَأَنْزِلْ عَلَيَّ مِنْ بَرَكَاتِكَ).وإسناده ضعيف؛ لجهالة راويه عن قبيصة رضي الله عنه .وقال محققو المسند : إسناده ضعيف .

١) الخصائص الكبرى السيوطي- بَاب مَا علمه لأَصْحَابه من الدَّعْوَات والرقي وَظَهَرت أثاره – دعاء دفع الفقر، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ١٠/ ٧٧٦.

٢) أَهْلُ الصُّفَّةِ فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ كَانُوا يَأْوُونَ إِلَى مَوْضِعٍ مُظَلَّلٍ فِي الْمَسْجِدِ، وَفِي الْقَامُوسِ: أَهْلُ الصُّفَّةِ كَانُوا أَضْيَافَ الْإِسْلَامِ يَبِيتُونَ فِي صُفَّةِ مَسْجِدِهِ – عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – وَفِي حَاشِيَةِ السُّيُوطِيِّ عَلَى الْبُخَارِيِّ: عَدَّهُمْ أَبُو نُعَيْمٍ فِي الْحِلْيَةِ أَكْثَرَ مِنْ مِائَةٍ، وَالصُّفَّةُ مَكَانٌ فِي مُؤَخَّرِ الْمَسْجِدِ أُعِدَّ لِنُزُولِ الْغُرَبَاءِ فِيهِ مَنْ لَا مَأْوَى لَهُ وَلَا أَهْلَ، وَقَالَ ابْنُ حَجَرٍ: وَكَانَتْ هِيَ فِي مُؤَخَّرِ الْمَسْجِدِ مُعَدَّةً لِفُقَرَاءِ أَصْحَابِهِ الْغَيْرِ الْمُتَأَهِّلِينَ، وَكَانُوا يَكْثُرُونَ تَارَةً حَتَّى يَبْلُغُوا نَحْوَ الْمِائَتَيْنِ وَيَقِلُّونَ أُخْرَى لِإِرْسَالِهِمْ فِي الْجِهَادِ وَتَعْلِيمِ الْقُرْآنِ، وَفِي التَّعَرُّفِ إِنَّمَا سُمُّوا صُوفِيَّةً لِقُرْبِ أَوْصَافِهِمْ مِنْ أَوْصَافِ أَهْلِ الصُّفَّةِ الَّذِينَ كَانُوا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ – ﷺ– وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لِلبْسِهُمُ الصُّوفَ أَوْ لِصَفَاءِ أَسْرَارِهِمْ أَوْ لِصَفَاءِ مُعَامَلَتِهِمْ لِأَنَّهُمْ فِي الصَّفِّ الْأَوَّلِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى، أَيْ مِنَ السَّابِقِينَ الْمُسَارِعِينَ فِي الْخَيْرَاتِ وَالْمُبَادِرِينَ فِي الطَّاعَاتِ، ثُمَّ قَالَ: وَأَمَّا مَنْ نَسَبَهُمْ إِلَى الصُّفَّةِ وَالصُّوفِ فَإِنَّهُ عَبَّرَ عَنْ ظَاهِرِ أَحْوَالِهِمْ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَوْمٌ تَرَكُوا

فَيَأْتِيَ مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ(٢) فِي غَيْرِ إِثْمٍ ، وَلَا قَطْعِ رَحِمٍ ؟، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ نُحِبُّ ذَلِكَ، قَالَ: أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمُ ، أَوْ يَقْرَأُ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ(٣).

الدُّنْيَا= = فَخَرَجُوا عَنِ الْأَوْطَانِ وَهَجَرُوا الْأَخْدَانَ وَسَاحُوا فِي الْبِلَادِ وَأَجَاعُوا الْأَكْبَادَ وَأَعْرَوُا الْأَجْسَادَ وَلَمْ يَأْخُذُوا مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا يَجُوزُ تَرْكُهُ مِنْ سَتْرِ عَوْرَةٍ وَسَدِّ جَوْعَةٍ، فَلِخُرُوجِهِمْ عَنِ الْأَوْطَانِ سُمُّوا غُرَبَاءَ وَلِكَثْرَةِ أَسْفَارِهِمْ سُمُّوا سَيَّاحِينَ وَلِقِلَّةِ أَكْلِهِمْ سُمُّوا جَوْعِيَّةً وَمِنْ تَخْلِيَتِهِمْ عَنِ الْأَمْلَاكِ سُمُّوا فُقَرَاءَ وَلِلْبِسِهِمُ الثَّوْبَ الْخَشِنَ مِنَ الشَّعْرِ وَالصُّوفِ سُمُّوا صُوفِيَّةً، ثُمَّ هَذِهِ كُلُّهَا أَحْوَالُ أَهْلِ الصُّفَّةِ الَّذِينَ كَانُوا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ – ﷺ– فَإِنَّهُمْ كَانُوا غُرَبَاءَ فُقَرَاءَ مُهَاجِرِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ، وَوَصَفَهُمْ أَبُو هُرَيْرَةَ وَفَضَالَةُ بْنُ عُبَيْدٍ فَقَالَا: كَانُوا يَخِرُّونَ مِنْ لَوَعٍ حَتَّى= = يَحْسَبَهُمُ الْأَعْرَابُ مَجَانِينَ وَكَانَ لِبَاسُهُمُ الصُّوفَ حَتَّى إِنْ كَانَ بَعْضُهُمْ لَيَعْرَقَ فِيهِ فَيُوجَدُ مِنْهُ رِيحُ الضَّأْنِ إِذَا أَصَابَهُ الْمَطَرُ (مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» كتاب فضائل القرآن(٢١١٠).

١) قَوله:(أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ)، أَيْ يَذْهَبُ فِي الْغُدْوَةِ وَهِيَ أَوَّلُ النَّهَارِ أَوْ يَنْطَلِقُ (كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بُطْحَانَ (بِضَمِّ الْمُوَحَّدَةِ وَسُكُونِ الطَّاءِ اسْمُ وَادٍ بِالْمَدِينَةِ سُمِّيَ بِذَلِكَ لِسِعَتِهِ وَانْبِسَاطِهِ مِنَ الْبَطْحِ وَهُوَ الْبَسْطُ، وَضَبَطَهُ ابْنُ الْأَثِيرِ بِفَتْحِ الْبَاءِ أَيْضًا (أَوِ الْعَقِيقُ (قِيلَ: أَرَادَ الْعَقِيقَ الْأَصْغَرَ وَهُوَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ أَوْ مِيلَيْنِ مِنَ الْمَدِينَةِ ، وَخَصَّهُمَا بِالذِّكْرِ لِأَنَّهُمَا أَقْرَبُ الْمَوَاضِعِ الَّتِي يُقَامُ فِيهَا أَسْوَاقُ الْإِبِلِ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ أَوْ لِلتَّنْوِيعِ، لَكِنَّ فِي جَامِعِ الْأُصُولِ: أَوْ قَالَ إِلَى الْعَقِيقِ فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ شَكٌّ مِنَ الرَّاوِي.

٢) (فَيَأْتِيَ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ) تَثْنِيَةُ كَوْمَاءَ قُلِبَتِ الْهَمْزَةُ وَاوًا وَأَصْلُ الْكَوْمِ الْعُلُوِّ، أَيْ فَيَحْصُلُ نَاقَتَيْنِ عَظِيمَتَيِ السَّنَامِ وَهِيَ مِنْ خِيَارِ مَالِ الْعَرَبِ، وَمَا ذَكَرَهُ ابْنُ حَجَرٍ مِنْ أَنَّ بَعْضَهُمْ يَضُمُّ الْكَافَ لَا يَظْهَرُ لَهُ وَجْهٌ، وَكَأَنَّهُ وَهْمٌ مِنْهُ لِمَا وَقَعَ فِي مُخْتَصَرِ النِّهَايَةِ: وَنَحْنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى كَوْمٍ هُوَ بِالْفَتْحِ الْمَوَاضِعُ الْمُشْرِفَةُ وَاحِدُهَا كَوْمَةٌ وَمِنْهُ كَوْمَةٌ مِنْ ذَهَبٍ وَمِنْ طَعَامٍ، أَيْ صَبْرَةٌ وَبَعْضُهُمْ يَضُمُّ الْكَافَ، وَقِيلَ: هُوَ بِالضَّمِّ اسْمٌ لِمَا كُوِّمَ وَبِالْفَتْحِ اسْمٌ لِلْفِعْلَةِ الْوَاحِدَةِ وَنَاقَةٌ كَوْمَاءُ مُشْرِفَةُ السَّنَامِ عَالِيَتُهُ(مرقاة).

٣) صحيح مسلم كِتَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا – بَابُ فَضْلِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ فِي الصَّلَاةِ وَتَعَلُّمِهِ – حديث رقم ١٣٨٩٠.

المثال الثالث عشر: عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ إِذَا رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ أَنْ يَجِدَ فِيهِ ثَلَاثَ خَلِفَاتٍ(١) عِظَامٍ سِمَانٍ قُلْنَا نَعَمْ قَالَ فَثَلَاثُ آيَاتٍ يَقْرَأُ بِهِنَّ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاتِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثِ خَلِفَاتٍ عِظَامٍ سِمَانٍ "(٢).

المثال الرابع عشر : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لَأَنْ أَقُولَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ للَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ " (٣).

المثال الخامس عشر : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ هَجَّرَ النَّبِيُّ ﷺ فَهَجَّرْتُ فَصَلَّيْتُ ثُمَّ جَلَسْتُ فَالْتَفَتَ إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ ": اشِكَمَتْ دَرْدْ (٤)" قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ:" قُمْ فَصَلِّ فَإِنَّ فِي الصَّلَاةِ شِفَاءً" (٥)(١).

---

١) (الْخَلِفَاتُ) بِفَتْحِ الْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ وَكَسْرِ اللَّامِ، الْحَوَامِلُ مِنَ الْإِبِلِ إِلَى أَنْ يَمْضِيَ عَلَيْهَا نِصْفُ أَمَدِهَا ثُمَّ هِيَ عِشَارٌ، وَالْوَاحِدَةُ خَلِفَةٌ وَعُشَرَاءُ (شرح النووي).

٢) صحيح مسلم» كتاب صلاة المسافرين وقصرها» بَاب فَضْلِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ فِي الصَّلَاةِ وَتَعَلُّمِهِ (٨٠٢).

٣) صحيح مسلم » كِتَاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَار ...» بَاب فَضْلِ التَّهْلِيلِ وَالتَّسْبِيحِ وَالدُّعَاءِ ...رقم الحديث: ٤٨٦٧).

٤) هُوَ بِالْفَارِسِيَّةِ بِمَعْنَى أَتَشْتَكِي بَطْنَكَ كَمَا فَسَّرَهُ بَعْضُ الرُّوَاةِ (حاشية السندي على ابن ماجه).

٥) قَالَ الْمُوَفِّقُ: الصَّلَاةُ قَدْ تُبْرِئُ مِنْ أَلَمِ الْفُؤَادِ وَالْمَعِدَةِ وَالْأَمْعَاءِ وَكَذَلِكَ مِنَ الْآلَامِ؛ وَلِذَلِكَ ثَلَاثُ عِلَلٍ الْأُولَى أَنَّهَا أَمْرٌ إِلَهِيٌّ حَيْثُ كَانَتْ عِبَادَةً يُرِيدُ أَنَّهَا تَدْفَعُ الْأَمْرَاضَ بِالْبَرَكَةِ وَالثَّانِيَةُ أَنَّ النَّفْسَ تَلْهُو فِيهَا عَنِ الْأَلَمِ وَيَقِلُّ إِحْسَاسُهَا فَتَسْتَظْهِرُ الْقُوَّةَ عَلَيْهِ فَإِنَّ قُوَّةَ الْأَعْضَاءِ وَالْمَعِدَةِ بِمَصَالِحِهِ وَحَوَاسِّهِ الَّتِي سَمَّتْهَا الْأَطِبَّاءُ طَبِيعَةً هِيَ الشَّافِيَةُ لِلْأَمْرَاضِ بِإِذْنِ خَالِقِهَا وَالْمَاهِرُ مِنَ الْأَطِبَّاءِ يَعْمَلُ كُلَّ حِيلَةٍ فِي تَقْوِيَتِهَا إِنْ كَانَتْ ضَعِيفَةً، وَفِي انْتِبَاهِهَا إِنْ كَانَتْ غَافِلَةً، وَفِي

المثال السادس عشر: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:" لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْأَرْضَ جَعَلَتْ تَمِيدُ، فَخَلَقَ الْجِبَالَ فَعَادَ بِهَا عَلَيْهَا فَاسْتَقَرَّتْ فَعَجِبَتْ الْمَلَائِكَةُ مِنْ شِدَّةِ الْجِبَالِ قَالُوا يَا رَبِّ هَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدُّ مِنْ الْجِبَالِ قَالَ نَعَمْ الْحَدِيدُ قَالُوا يَا رَبِّ فَهَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدُّ مِنْ الْحَدِيدِ قَالَ نَعَمْ النَّارُ فَقَالُوا يَا رَبِّ فَهَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدُّ مِنْ النَّارِ قَالَ نَعَمْ الْمَاءُ قَالُوا يَا رَبِّ فَهَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدُّ مِنْ الْمَاءِ قَالَ نَعَمْ الرِّيحُ قَالُوا يَا رَبِّ فَهَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدُّ مِنْ الرِّيحِ قَالَ نَعَمْ ابْنُ آدَمَ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ بِيَمِينِهِ يُخْفِيهَا مِنْ شِمَالِهِ" قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ مَرْفُوعًا إِلَّا مِنْ هَذَا

إِلْفَاتِهَا إِنْ كَانَتْ مُعْرِضَةً، وَفِي اسْتِزَادَتِهَا إِنْ كَانَتْ مُقَصِّرَةً تَارَةً بِتَحْرِيكِ السُّرُورِ وَالْفَرَحِ وَتَارَةً بِالْحَيَاءِ وَالْخَوْفِ وَالْخَجَلِ وَتَارَةً بِتَذْكِيرِهَا وَشُغْلِهَا بِعَظَائِمِ الْأُمُورِ وَعَوَاقِبِ الْمَصِيرِ وَأَمْرِ الْمَعَادِ، وَالصَّلَاةُ تَجْمَعُ ذَلِكَ، أَوْ أَكْثَرَهُ إِذْ يَحُضُّ الْعَبْدَ فِيهَا خَوْفٌ وَرَجَاءٌ وَأَمَلٌ وَتَذَكُّرُ الْآخِرَةِ وَأَحْوَالِهَا ، وَكَثِيرٌ مِنَ الْأَمْرَاضِ الْمُزْمِنَةِ تُشْفَى بِالْأَوْهَامِ ، وَالثَّالِثَةُ: أَمْرٌ ظَنِّيٌّ وَذَلِكَ أَنَّ الصَّلَاةَ رِيَاضَةٌ فَاضِلَةٌ لِلنَّفْسِ؛ لِأَنَّهَا تَشْتَمِلُ عَلَى انْتِصَابٍ وَرُكُوعٍ وَسُجُودٍ وَتَوَرُّكٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَوْضَاعِ الَّتِي تَتَحَرَّكُ مَعَهَا أَكْثَرُ الْمَفَاصِلِ وَيَنْغَمِرُ فِيهَا أَكْثَرُ الْأَعْضَاءِ سِيَّمَا الْمَعِدَةِ وَالْأَمْعَاءِ وَسَائِرِ آلَاتِ التَّنَفُّسِ وَالْغِذَاءِ عِنْدَ السُّجُودِ وَمَا أَنْفَعَ السُّجُودَ الطَّوِيلَ لِصَاحِبِ النَّزْلَةِ وَالزُّكَامِ وَمَا أَنْفَعَ السُّجُودَ لِانْصِبَابِ النَّزْلَةِ إِلَى الْحَلْقِ وَمَا أَشَدَّ إِعَانَةَ السُّجُودِ الطَّوِيلِ عَلَى فَتْحِ سَدَدِ الْمَنْخِرَيْنِ فِي عِلَّةِ الزُّكَامِ وَإِنْضَاجِ مَادَّتِهِ وَمَا أَقْوَى مُعَاوَنَةَ السُّجُودِ عَلَى هَضْمِ الطَّعَامِ مِنَ الْمَعِدَةِ وَالْأَمْعَاءِ وَتَحْرِيكِ الْفُضُولِ الْمُتَخَلِّقَةِ فِيهَا وَإِخْرَاجِهَا إِذْ عِنْدَهُ تَنْحَصِرُ الْآلَاتُ بِازْدِحَامِهَا وَيَتَسَاقَطُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ وَكَثِيرًا مَا تَسْتُرُ الصَّلَاةُ النَّفْسَ وَتَمْحَقُ الْهَمَّ وَالْحُزْنَ وَتُذِيبُ الْآمَالَ الْخَائِبَةَ وَتَكْشِفُ عَنِ الْأَوْهَامِ الْكَاذِبَةِ وَيَصْفُو فِيهَا الذِّهْنُ وَتُطْفِي نَارَ الْغَضَبِ اهـ . وَفِي الزَّوَائِدِ: فِي إِسْنَادِهِ لَيْثٌ وَهُوَ ابْنُ أَبِي سُلَيْمٍ وَقَدْ ضَعَّفَهُ الْجُمْهُورُ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ . (حاشية السندي على ابن ماجه).

١) سنن ابن ماجه» كتاب الطب» بَاب الصَّلَاةُ شِفَاءٌ (٣٤٥٨٠).

الْوَجْهِ(١).

المثال السابع عشر: عَنِ الطُّفَيْلِ بْنِ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) إِذَا ذَهَبَ ثُلُثَا اللَّيْلِ قَامَ ، فَقَالَ : " يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا اللَّهَ ، اذْكُرُوا اللَّهَ جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ "، قَالَ أُبَيٌّ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَيْكَ فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي ؟ فَقَالَ: " مَا شِئْتَ "، قَالَ: قُلْتُ: الرُّبُعَ ؟ قَالَ: " مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ "، قُلْتُ : النِّصْفَ؟ قَالَ: " مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ " ، قَالَ : قُلْتُ: فَالثُّلُثَيْنِ ؟ قَالَ: " مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ " ، قُلْتُ: أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا ، قَالَ: " إِذًا تُكْفَى هَمَّكَ وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ " ، قَالَ أَبُو عِيسَى : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ (٢).

يقول الشيخ محمد عمر البالمبوري(رحمه الله): إن أراد الله قضاء الحوائج فتنقضي مع الأسباب والأشياء وبدونها، وإن لم يرد الله قضاء الحوائج وحل المشاكل فمع كثرة الأسباب والأشياء لا تنقضي الحوائج ، ولا تحل المشاكل أبدا ، كما قال الله ﷻ{ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } (٣) .

---

١) سنن الترمذي» كتاب تفسير القرآن» باب ومن سورة المعوذتين (٣٣٦٩) وأحمد (١٢٢٥٣) باختلاف يسير.

٢) سنن الترمذي » كِتَاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ ... » بَاب مَا جَاءَ فِي صِفَةِ أَوَانِي الْحَوْضِ _ رقم الحديث: ٢٣٩٤٠

٣) سورة فاطر _ الآية ٢ .

وقال تعالي : {وَإِن يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدُيرٌ } (١).

وقال تعالي: { وَإِن يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَآدَّ لِفَضْلِهِ يُصَيبُ بِهِ مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ } (٢).(٣).

- **وهكذا كل الأشياء بدون الله لا تستطيع أن تفعل شيء :**

_ المال لا يفعل شيء، الذي يفعل هو الله.

_التجارة لا تفعل شيء، الذي يفعل هو الله.

_ الصناعة لا تفعل شيء، الذي يفعل هو الله.

_ الحكومة لا تفعل شيء، الذي يفعل هو الله.

_ القبائل لا تفعل شيء، الذي يفعل هو الله.

_ السلاح لا يفعل شيء، الذي يفعل هو الله.

والله بغير غيره يفعل كل شيء.. يفعل ما يشاء على الوجه الذي يشاء في الوقت الذي يشاء بقدرته وحده ﷻ ولا يحتاج لأحدٍ من خلقه وهو الصمد.

- كل شيء في خزائن الله: خزائن السماوات عند الله..خزائن الأرض عند الله..خزائن البحار عند الله..خزائن الجبال عند الله..خزائن الولد عند الله.. خزائن السعادة عند الله..خزائن الراحة عند الله.

---

١) سورة الأنعام _ الآية ١٧ .

٢) سورة يونس _ الآية ١٠٧ .

٣) كتاب روائع العلامة محمد عمر البالمبوري بقلم المؤلف.

- العسل ليس من النحل، العسل من خزائن الله.. والله تعالى قادر على أن يُعطينا العسل بالنحل وبدون النحل، ولكن النحل في إعطائه العسل محتاج إلى الله.

- اللبن ليس من البقر، اللبن من خزائن الله.. والله تعالى قادر على أن يُعطينا اللبن بالبقر وبدون البقر، ولكن البقر في إعطائه اللبن محتاج إلى الله.

- الثمر ليس من الشجر، الثمر من خزائن الله.. والله تعالى قادر على أن يُعطينا الثمر بالشجر وبدون الشجر، والشجر حتى يُعطينا الثمر محتاج إلى الله.

- الشفاء ليس من الدواء، الشفاء من خزائن الله،(وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ) (١)، قال الله تعالى ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾(٢).

- الله خلق السماوات من العدم.. وخلق الأرض من العدم.. وخلق البحار من العدم.. وخلق الجبال من العدم.

ثالثا: من الدنيا إلى الآخرة:

قال تعالى:{ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى } (٣).

وقال تعالى:{ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ} (١) .

---

(١) سورة الشعراء – الآية ٨٠.

(٢) سورة الحجر – الآية ٢١.

(٣) سورة الأعلى _ الآيتان ١٦ ، ١٧

وقال تعالى:{ مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا * وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا * كُلًّا نُّمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا * انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا } (٢).

وقال تعالى:{وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ * وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ * وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ }(٣).

وعَنْ الْمُسْتَوْرَدِ بْنِ شَدَّادٍ -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -ﷺ-: " وَالله! مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ هَذِهِ -أي: السَّبَّابَة- فِي الْيَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمَ تَرْجِعُ؟" رَوَاهُ مُسْلِم. (٤).

وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): " لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ " رَوَاهُ أَحْمَدُ ، وَالتِّرْمِذِيُّ ، وَابْنُ مَاجَهْ . (١).

---

(١) سورة الشورى _ الآية ٢٠.

(٢) سورة الإسراء – الآيات من ١٨ : ٢١.

(٣) سورة الزخرف: الآيات من ٣٣-٣٥.

(٤) صحيح مسلم» كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها» بَاب فَنَاءِ الدُّنْيَا وَبَيَانِ الْحَشْرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ(٢٨٥٨).

وعَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِّ ، (ﷺ) : " مَنْ أَحَبَّ دُنْيَاهُ أَضَرَّ بِآخِرَتِهِ، وَمَنْ أَحَبَّ آخِرَتَهُ أَضَرَّ بِدُنْيَاهُ ، فَآثِرُوا مَا يَبْقَى عَلَى مَا يَفْنَى " (٢).

وعَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ، قَالَ: مَثَلُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ كَمَثَلِ رَجُلٍ لَهُ ضَرَّتَانِ، إِنْ أَرْضَى إِحْدَاهُمَا أَسْخَطَ الْأُخْرَى. (٣).

وعَنْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، قَالَ : " إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ اثْنَتَيْنِ طُولُ الأَمَلِ وَاتِّبَاعُ الْهَوَى ، فَأَمَّا طُولُ الأَمَلِ فَيُنْسِي الآخِرَةَ وَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى فَيَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ ، أَلا وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ وَلَّتْ مُدْبِرَةً وَالآخِرَةُ مُقْبِلَةٌ وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بَنُونَ فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الآخِرَةِ وَلا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلا حِسَابَ وَغَدًا حِسَابٌ وَلا عَمَلَ "(٤) .

وعَنْ جَابِرٍ قَالَ : كَانَتِ الْأَنْصَارُ إِذَا جَرُّوا نَخْلَهُمْ قَسَّمَ الرَّجُلُ تَمْرَةً إِلَى قِسْمَيْنِ : أَحَدُهُمَا أَقَلُّ مِنَ الْآخَرِ، ثُمَّ يَجْعَلُونَ السَّعَفَ مَعَ أَقَلِّهِمَا ، ثُمَّ يُخَيِّرُونَ الْمُسْلِمِينَ فَيَأْخُذُونَ أَكْثَرَهُمَا ، وَيَأْخُذُ الْأَنْصَارُ أَقَلَّهُمَا مِنْ أَجْلِ السَّعَفِ، حَتَّى فُتِحَتْ خَيْبَرُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِّ – ﷺ– : " قَدْ وَفَّيْتُمْ لَنَا بِالَّذِي كَانَ عَلَيْكُمْ ، فَإِنْ

---

(١) مشكاة المصابيح» كتاب الآداب» كتاب الرقاق(٥١٧٧)..

(٢) شعب الإيمان للبيهقي» الْحَادِي وَالسَّبْعُونَ مِنْ شُعَبِ الإِيمَانِ وَهُوَ ...رقم الحديث:(٩٦٤٨)، المستدرك على الصحيحين» كتاب الرقاق» مَنْ أَحَبَّ دُنْيَاهُ أَضَرَّ بِآخِرَتِهِ (٧٩٢٣).

(٣) الزهد لابن أبي الدنيا(٦٤).

(٤) الزهد لأحمد بن حنبل » زُهْدُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ...رقم الحديث:(٣٧٧)، ٣٧٧)، حلية الأولياء لأبي نعيم » عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ _ رقم الحديث:(٢٣١).

شِئْتُمْ أَنْ تَطِيبَ أَنْفُسُكُمْ بِنَصِيبِكُمْ مِنْ خَيْبَرَ ، وَتَطِيبَ لَكُمْ ثِمَارُكُمْ فَعَلْتُمْ " . قَالُوا : إِنَّهُ قَدْ كَانَ لَكَ عَلَيْنَا شُرُوطٌ ، وَلَنَا عَلَيْكَ شَرْطٌ بِأَنَّ الْجَنَّةَ لَنَا ، فَقَدْ فَعَلْنَا الَّذِي سَأَلْتَنَا بِأَنَّ لَنَا شَرْطَنَا، قَالَ: " فَذَاكُمْ لَكُمْ " . رَوَاهُ الْبَزَّارُ (١).

وعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ ، عَنْ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ ، قَالَ: " نَزَلَ بِهِ رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ فَأَكْرَمَ مَثْوَاهُ وَكَلَّمَ فِيهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَجَاءَهُ الرَّجُلُ ، فَقَالَ : إِنِي اسْتَقْطَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَادِيًا مَا فِي الْعَرَبِ مِثْلُهُ ، وَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ أُقْطِعَ لَكَ مِنْهُ قَطِيعًا يَكُونُ لَكَ ولِعَقِبَكِ مِنْ بَعْدِكَ ، قَالَ:لا حَاجَةَ لَنَا فِي قَطِيعَتِكَ نَزَلَتِ الْيَوْمَ سُورَةٌ أَذْهَلَتْنَا عَنِ الدُّنْيَا : اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ (٢).

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَال: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بُسَيْسَةَ عَيْنًا يَنْظُرُ مَا صَنَعَتْ عِيرُ أَبِي سُفْيَانَ، فَجَاءَ وَمَا فِي الْبَيْتِ أَحَدٌ غَيْرِي وَغَيْرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: لَا أَدْرِي مَا اسْتَثْنَى بَعْضَ نِسَائِهِ ، قَالَ: فَحَدَّثَهُ الْحَدِيثَ، قَالَ: فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَتَكَلَّمَ فَقَالَ: " إِنَّ لَنَا طَلِبَةً فَمَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِرًا، فَلْيَرْكَبْ مَعَنَا "، فَجَعَلَ رِجَالٌ يَسْتَأْذِنُونَهُ فِي ظُهْرَانِهِمْ فِي عُلْ وَالْمَدِينَةِ ، فَقَالَ : " لَا ، إِلَّا مَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِرًا "، فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ حَتَّى سَبَقُوا الْمُشْرِكِينَ إِلَى بَدْرٍ ، وَجَاءَ الْمُشْرِكُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " لَا يُقَدِّمَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَى شَيْءٍ حَتَّى أَكُونَ أَنَا دُونَهُ "، فَدَنَا الْمُشْرِكُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ"، قَالَ: يَقُولُ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الْأَنْصَارِيُّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَنَّةٌ

---

(١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» كتاب المناقب» باب ما جاء في فضل الأنصار (١٦٥٢٦).
(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء _ باب ترجمة عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ (٦٠١) .

عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ؟، قَالَ: نَعَمْ ، قَالَ: بَخٍ بَخٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِّ ﷺ: " مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ ؟، قَالَ: لَا وَاللهِّ يَا رَسُولَ اللهِّ إِلَّا رَجَاءً أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا ، قَالَ: " فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا "، فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِهِ فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ ، ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ حَتَّى آكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ، قَالَ: فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ (١).

وعَنْ مُعَاذٍ رَحِمَهُ اللهُّ تَعَالَى " لَمَّا أَنْ حَضَرَهُ الْمَوْتُ، قَالَ : انْظُرُوا أَصْبَحْنَا ؟ فَأُتِيَ فَقِيلَ: لَمْ تُصْبِحْ ، قَالَ : انْظُرُوا أَصْبَحْنَا ، فَأُتِيَ فَقِيلَ: لَمْ تُصْبِحْ حَتَّى أُتِيَ فِي بَعْضِ ذَلِكَ، فَقِيلَ لَهُ: قَدْ أَصْبَحْتَ، قَالَ: أَعُوذُ بِاللهِّ مِنْ لَيْلَةٍ صَبَاحُهَا إِلَى النَّارِ، مَرْحَبًا بِالْمَوْتِ ، مَرْحَبًا زَائِرًا مُغَيَّبًا حَبِيبًا، جَاءَ عَلَى فَاقَةٍ ، اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ كُنْتُ أَخَافُكَ، فَأَنَا الْيَوْمَ أَرْجُوكَ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أُحِبُّ الدُّنْيَا وَطُولَ الْبَقَاءِ فِيهَا لِكَرْيِ الأَنْهَارِ وَلا لِغَرْسِ الشَّجَرِ، وَلَكِنْ لِظَمَأِ الْهَوَاجِرِ وَمُكَابَدَةِ السَّاعَاتِ وَمُزَاحَمَةِ الْعُلَمَاءِ بِالرُّكَبِ عِنْدَ حِلَقِ الذِّكْرِ " (٢) .

وقال يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى: (تَرْكُ الدُّنْيَا شَدِيْدٌ، وَفَوْتُ الجَنَّةِ أَشَدُّ، وَتَرْكُ الدُّنْيَا مَهْرُ الآخِرَةِ) (٣).

انظر ما حدث لليهود في بني قريظة، عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ وَقَّاصٍ اللَّيْثِيِّ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِّ -ﷺ- لِسَعْدٍ: " لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ اللهِّ مِنْ فَوْقِ سَبْعَةِ

---

(١) صحيح مسلم » كِتَاب الْإِمَارَةِ » بَاب ثُبُوتِ الْجَنَّةِ لِلشَّهِيدِ _ رقم الحديث: ٣٥٢٧.

(٢) الزهد لأحمد بن حنبل » أَخْبَارُ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ _ رقم الحديث: ٦٤٢، حلية الأولياء لأبي نعيم » مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ _ رقم الحديث: ٨٤٤ .

(٣) إحياء علوم الدين للإمام الغزالي – المكتبة الشاملة على النت.

أَرْقِعَةٍ. قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ثُمَّ اسْتَنْزَلُوا، فَحَبَسَهُمْ رَسُولُ اللهِّ - ﷺ- فِي دَارِ ابْنَةِ الْحَارِثِ، امْرَأَةٍ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ، ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللهِّ -ﷺ- إِلَى سُوقِ الْمَدِينَةِ، الَّتِي هِيَ سُوقُهَا الْيَوْمَ ، فَخَنْدَقَ بِهَا خَنَادِقَ ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَيْهِمْ ، فَضَرَبَ أَعْنَاقَهُمْ فِي تِلْكَ الْخَنَادِقِ يَخْرُجُ بِهِمْ إِلَيْهِ أَرْسَالا ، وَفِيهِمْ عَدُوُّ اللهِّ، حُيَيُّ بْنُ أَخْطَبَ، وَكَعْبُ بْنُ أَسَدٍ رَأْسُ الْقَوْمِ ، وَهُمْ سِتُّ مِائَةٍ أَوْ سَبْعُ مِائَةٍ ، الْمُكَثِّرُ لَهُمْ يَقُولُ : كَانُوا مِنَ الثَّمَانِ مِائَةٍ إِلَى التِّسْعِ مِائَةِ . وَقَدْ قَالُوا لِكَعْبِ بْنِ أَسَدٍ ، وَهُمْ يَذْهَبُ بِهِمْ إِلَى رَسُولِ اللهِّ -ﷺ-أَرْسَالا : يَا كَعْبُ ، مَا تَرَى مَا يُصْنَعُ بِنَا ؟ فَقَالَ كَعْبٌ : فِي كُلِّ مَوْطِنٍ لا تَعْقِلُونَ ، أَلا تَرَوْنَ الدَّاعِيَ لا يَنْزِعُ ، وَأَنَّهُ مَنْ ذَهَبَ بِهِ مِنْكُمْ لا يَرْجِعُ ، هُوَ وَاللهِّ الْقَتْلُ . فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ الدَّأْبُ حَتَّى فَرَغَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللهِّ -ﷺ- وَأُتِيَ بِحُيَيِّ بْنِ أَخْطَبَ ، عَدُوِّ اللهِّ ، وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ لَهُ فُقَاحِيَةٌ ، قَدْ شَقَّقَهَا عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ ، كَمَوْضِعِ الأَنْمُلَةِ أَنْمُلَةً أَنْمُلَةً ، لِئَلا يُسْلَبَهَا، مَجْمُوعَةٌ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ بِحَبْلٍ . فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى رَسُولِ اللهِّ -ﷺ- قَالَ : أَمَا وَاللهِّ مَا لُمْتُ نَفْسِي فِي عَدَاوَتِكَ ، وَلَكِنَّهُ مَنْ يَخْذُلِ اللهَّ يُخْذَلْ . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ ، فَقَالَ -: أَيُّهَا النَّاسُ -، إِنَّهُ لا بَأْسَ بِأَمْرِ اللهِّ وَقَدَرِهِ -، وَمَلْحَمَةٍ قَدْ كُتِبَتْ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ -، ثُمَّ جَلَسَ فَضُرِبَتْ عُنُقُهُ -، فَقَالَ جَبَلُ بْنُ جَوَّالٍ الثَّعْلَبِيُّ -: لَعَمْرُكَ مَا لامَ ابْنُ أَخْطَبَ نَفْسَهُ وَلَكِنَّهُ مَنْ يَخْذُلِ اللهُّ يُخْذَلِ لَجَاهَدَ حَتَّى أَبْلَغَ النَّفْسَ عُذْرَهَا وَقَلْقَلَ يَبْغِي الْعِزَّ كُلُّ مُقَلْقَلِ " (١).

(١) تاريخ الطبري» غَزْوَةُ بَنِي قُرَيْظَةَ - رقم الحديث: ٦٦٠.

لأنهم ما تفكروا في مآلهم وآخرتهم، فكانت نهايتهم سيئة في الدنيا وفي الآخرة كم تأتي عليهم المشاكل في القبر والحشر والميزان.

قال أحد الحكماء: (عندما تُولَدُ يا ابنَ آدمَ يُؤَذَّنُ في أُذُنِكَ مِن غيرِ صَلاة.. وعندما تموتُ يُصَلَّى عليكَ مِن غَيرِ أَذَانٍ.. وكأنَّ حَيَاتكَ في الدُّنيا ليست سِوَى الوقتِ الذي بين الأذانِ والصلاةِ.. فلا تَقْضِهَا بما لَا ينفعُ).

فعلينا أن ندعو أنفسنا ونذكر الناس بالآخرة.. بالغيب.. ماذا بعد الموت ؟.. ماذا بعد هذه الحياة ؟.. الله سبحانه وتعالى حينما عرض الدعوة علي موسي عليه الصلاة السلام، قال تعالى: ﴿ إِنَّنِيَ أَنَا اللهُ لآ إِلَـهَ إِلآ أَنَاْ فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصّلاَةَ لِـذِكْرِيَ * إِنّ السّـاعَةَ آتِيَـةٌ أَكَـادُ أُخْفِيهَـا لِتُجْزَىَ كُلّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىَ* فَلاَ يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لاَ يُؤْمِنُ بِهَـا وَاتَّبَـعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى ﴾(١). تهلك إذا نسيت هذا الصلاة ونسيت هذه الآخرة.

وسيدنا شعيب عليه السلام يقول لقومه :﴿ وَيَـا قَـوْمِ اعْمَلُـواْ عَـلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَـن يَأْتِيـهِ عَـذَابٌ يُخْزِيـهِ وَمَـنْ هُـوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُواْ إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيـبٌ ﴾(٢).. رجاء اليوم الأخر.. رجاء الآخرة.. رجاء موعود الله، أمر مهم قد لا يحقق العبودية، إلا بهذا اليقين على موعود الله سبحانه وتعالى وفى رجاء اليوم الأخر.

---

(١) سورة طه – الآيات من ١٤: ١٦ .

(٢) سورة هود – الآيات من ٩٣ .

وفي ذلك ستة أمور نذكرها باختصار :

١- إن كل إنسان لا بد أن يترك هذه الحياة يوما ما، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَّيِّتُونَ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾(٢).هذا هو اليقين الأول.

٢- إن كل إنسان سيخرج من هذه الدنيا ويترك كل ما جمعه من المادة، ولن يحمل معه إلي القبر أي شيء من أشياء المادة إطلاقا.

٣- إن كل إنسان سيحمل معه جميع أعماله خيرها وشرها، حلوها ومرها. فالأعمال تحمل معك، وكل ما جمعته تتركه خلفك.

٤- لن يعود إنسان بعد الموت إلي الدنيا، الشهداء تمنوا أن يرجعوا إلي الدنيا، والنبي (ﷺ) تمني أن يرجع إلي الدنيا ! ولكن رغم هذا لم يعط أي إنسان هذه الأمنية، فلا رجوع إلي الدنيا أبدا.

٥- إن كل إنسان على حسب أعماله التي عملها في الدنيا، يكون مصيره من أول لحظة يخرج فيها من بيته إلي القبر: فعن أَبَي سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :" إِذَا وُضِعَتْ الْجَنَازَةُ فَاحْتَمَلَهَا الرِّجَالُ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً قَالَتْ قَدِّمُونِي وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالِحَةٍ قَالَتْ لِأَهْلِهَا يَا وَيْلَهَا أَيْنَ يَذْهَبُونَ بِهَا يَسْمَعُ صَوْتَهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الْإِنْسَانَ وَلَوْ سَمِعَ الْإِنْسَانُ لَصَعِقَ (٣).

---

(١) سورة الزمر – الآية ٣٠.

(٢) سورة الأنبياء – الآية ٣٤.

(٣) صحيح البخاري» كتاب الجنائز» بَاب حَمْلِ الرِّجَالِ الْجِنَازَةَ دُونَ النِّسَاءِ (١٢٥١).

هذا جزاء الأعمال علي حسب نوعيتها إن خيرا فخيرا وإن شرا فشر.

٦- لا موت بعد الموت.. حياة أبدية.. صورة الموت فناء ظاهري أدخل المقبرة.. أين صاحبها ؟ ! موجود ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ ﴾ (١) اختفاء ظاهري .. ولكن هو موجود بكل كيانه في نعيم أو في عذاب، وبعد ذلك إما جنة أبدا وإما نارا أبدا، فالإنسان خلق للأبد، إي إنسان يخرج من بطن أمه له حياة أبدية لا تنتهي، وهذه الحياة الأبدية إما في الجنة أو في النار.

فهذه الأمور الستة يجب أن يكون يقيننا عليها بنسبة الموت والآخرة وما بعد الموت.

ويتغير اليقين بالنفي والإثبات: فلو ننفي الشيء يأتي يقينه.. وذلك بدعوة لا إله إلا الله.

✸ ولما نقوم بالنفي والإثبات نستفيد أربع فوائد:

١) يخرج من القلب يقين هذا الشيء.

٢) لا أعبده، لأن الذين اعتقدوا أن النفع من ذات الأشياء فعبدوها من دون الله، ولذا قال الله تعالى:{ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ }(٢).

---

(١) سورة ق – الآية ٤.

(٢) سورة فصلت _ الآية ٣٧.

٣) الله يحفظني من هذا الشيء.

٤) الله يسخره لنا: والأمثلة على ذلك كثيرة نذكر منها:

الأول: إبراهيم (عليه السلام): لما كبر الله وصغر النار صغر الله له النيران وسخرها له ولم تضره.

الثاني: موسى (عليه السلام): لما كبر الله وعظم الله، وصغر البحر، فسخر الله له البحر، وأنجاه ولم يضره، فقد توجه إلى الله ﷻ ووجه بني إسرائيل إلى الله ﷻ وقال كلمة ردع ﴿ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ (١) فنزع من قلوبهم التأثر بفرعون وجنوده، وجاء الأمر من الله ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾ (٢) ثم جاء الأمر من الله ﷻ لسيدنا موسى (عليه السلام) ﴿ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْواً إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ ﴾ (٣) فقوة إيمان سيدنا موسى (عليه السلام) وقومه الله جعلها سبب لتدمير قوة فرعون وجنوده ﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾ (٤)(٥).

الثالث: في قصة الغلام والساحر: ..... ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ فَقِيلَ لَهُ ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاطْرَحُوهُ فَذَهَبُوا بِهِ

---

(١) سورة الشعراء – الآية ٦٢ .

٢) سورة الشعراء – الآية ٦٣ .

٣) سورة الدخان – الآية ٢٤ .

(٤) سورة الذريات – الآية ٤٠ .

(٥) روائع العلامة محمد عمر البالمبوري بقلم المؤلف .

فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ فَقَالَ اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ فَرَجَفَ بِهِمْ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ قَالَ كَفَانِيهِمُ اللهُ فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاقْذِفُوهُ فَذَهَبُوا بِهِ فَقَالَ اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ فَانْكَفَأَتْ بِهِمْ السَّفِينَةُ فَغَرِقُوا وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ قَالَ كَفَانِيهِمُ اللهُ فَقَالَ لِلْمَلِكِ إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ ....(١). فلما الغلام كبر الله وعظم الله، وصغر الأشياء مثل (الجبل، والبحر) فالله سخر له الجبل وسخر له البحر، ولم يضراه، وكانا سببا لنجاته، وأهلك أعداءه.

الرابع: عَنْ وَهْبِ بْنِ أَبَانَ الْقُرَشِيّ ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّهُ خَرَجَ فِي سَفَرٍ لَهُ ، فَبَيْنَا هُوَ يَسِيرُ إِذَا قَوْمٌ وُقُوفٌ، فَقَالَ: مَا بَالُ هَؤُلاءِ؟ قَالُوا: أَسَدٌ عَلَى الطَّرِيقِ قَدْ أَخَافَهُمْ. فَنَزَلَ عَنْ دَابَّتِهِ، ثُمَّ مَشَى إِلَيْهِ حَتَّى أَخَذَ بِأُذُنِهِ فَعَرَكَهَا ، ثُمَّ قَفَدَ قَفَاهُ وَنَحَّاهُ عَنِ الطَّرِيقِ، ثُمَّ قَالَ: مَا كَذَبَ عَلَيْكَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سَمِعْتُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: " إِنَّمَا يُسَلَّطُ عَلَى ابْنِ آدَمَ مَنْ خَافَهُ ابْنُ آدَمَ ، وَلَوْ أَنَّ ابْنَ آدَمَ لَمْ يَخَفْ إِلا اللهَ لَمْ يُسَلَّطْ عَلَيْهِ، وَإِنَّمَا ابْنُ آدَمَ وَكَّلَ بَنِي آدَمَ لِمَنْ رَجَا ابْنَ آدَمَ ، وَلَوْ أَنَّ ابْنَ آدَمَ لَمْ يَرْجُ إِلا اللهَ لَمْ يَكِلْهُ إِلَى غَيْرِهِ(٢).

الخامس: عَنْ سَفِينَةَ قَالَ: كُنْتُ فِي الْبَحْرِ، فَانْكَسَرَتْ سَفِينَتُنَا فَلَمْ نَعْرِفِ الطَّرِيقَ، فَإِذَا أَنَا بِالْأَسَدِ قَدْ عَرَضَ لَنَا، فَتَأَخَّرَ أَصْحَابِي فَدَنَوْتُ مِنْهُ، فَقُلْتُ: أَنَا سَفِينَةُ

---

(١) صحيح مسلم» كتاب الزهد والرقائق» بَاب قِصَّةِ أَصْحَابِ الْأُخْدُودِ وَالسَّاحِرِ وَالرَّاهِبِ وَالْغُلَامِ (٣٠٠٥).

(٢) كتاب الديباج للختلي.

صَاحِبُ رَسُولِ اللهِّ - ﷺ- وَقَدْ أَضْلَلْنَا الطَّرِيقَ، فَمَشَى بَيْنَ يَدَيَّ حَتَّى أَوْقَفَنَا عَلَى الطَّرِيقِ، ثُمَّ تَنَحَّى وَدَفَعَنِي كَأَنَّهُ يُرِينِي الطَّرِيقَ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ يُوَدِّعُنَا.رَوَاهُ الْبَزَّارُ، وَالطَّبَرَانِيُّ بِنَحْوِهِ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: فَانْكَسَرَتْ سَفِينَتِي الَّتِي كُنْتُ فِيهَا، فَرَكِبْتُ لَوْحًا مِنْ أَلْوَاحِهَا فَطَرَحَنِي اللَّوْحُ فِي أَجَمَةٍ فِيهَا الْأَسَدُ، فَأَقْبَلَ إِلَيَّ يُرِيدُنِي، فَقُلْتُ: يَا أَبَا الْحَارِثِ، أَنَا سَفِينَةُ مَوْلَى رَسُولِ اللهِّ - ﷺ- فَطَأْطَأَ رَأْسَهُ وَأَقْبَلَ إِلَيَّ فَدَفَعَنِي بِمِنْكَبِهِ. وَالْبَاقِي بِنَحْوِهِ(١).

السادس: ومن جميل ما ورد في هذا، ما روي أنه لما فتح عبدالله بن علي العباس دمشق، قتل في ساعة واحدة ستة وثلاثين ألفاً من المسلمين، وأدخل بغاله وخيوله في المسجد الأموي الجامع الكبير، ثم جلس للناس وقال للوزراء: هل يعارضني أحد؟ قالوا: لا. قال: هل ترون أحداً سوف يعترض عليّ؟ قالوا: إن كان فـالأوزاعي، قال: فأتوني به، فذهب الجنود للأوزاعي، قالوا: يُريدك عبدالله بن علي، قال: "حسبنا الله ونعم الوكيل"، انتظروني قليلاً، فذهب فاغتسل، ولبس أكفانه تحت الثياب؛ لأنه يعرف أن المسألة موت أحمر، ثم قال لنفسه: الآن آن لك يا أوزاعي أن تقول كلمة الحق، لا تخشى في الله لومة لائم، قال الأوزاعي: فدخلت فإذا أساطين من الجنود، قد سلُّوا السيوف، قال: فدخلت من تحتها؛ حتى بلغت إليه، وقد جلس على سرير، وبيده خيزران، وقد انعقد جبينه عقدة من الغضب، قال: فلما رأيته، والله الذي لا إله إلا هو؛ كأنه

(١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد»كتاب المناقب» باب ما جاء في سفينة رضي الله عنه (١٥٩٧٢) .

أمامي ذباب(١)، قال: فما تذكرت أحداً لا أهلاً، ولا مالاً، ولا زوجة، وإنما تذكرت عرش الرحمن إذا برز للناس يوم الحساب، قال: فرفع بصره وبه غضب عليّ، قال: يا أوزاعي، ما تقول في الدماء التي أرقناها؟ قال الأوزاعي: حدّثنا فلان، قال: حدثنا ابن مسعود، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لاَ يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَنِّى رَسُولُ اللهِ إِلاَّ بِإِحْدَى ثَلاَثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ"، فإن كان من قتلتهم من هؤلاء فقد أصبت، وإن لم يكونوا منهم فدماؤهم في عنقك. قال: فنكتَ بالخيزران ورفعت عمامتي أنتظر السيف، ورأيت الوزراء يستجمعون ثيابهم ويرفعونها عن الدم. قال: وما رأيك في الأموال التي أخذناها؟ قال الأوزاعي: إن كانت حلالاً فحساب، وإن كانت حرامًا فعقاب!! قال: خذ هذه البدرة – كيس مملوء من الذهب – قال الأوزاعي: لا أريد المال، قال: فغمزني أحد الوزراء، يعني خذها، لأنه يريد أدنى علة ليقتل، قال: فأخذ الكيس ووزَّعه على الجنود وهو يخرج، حتى بقي الكيس فارغًا، فرمى به وخرج، فلما خرج قال: "حسبنا الله ونعم الوكيل، قلناها يوم دخلنا وقلناها يوم خرجنا".

وطريقة النفي والإثبات:

١) ننفي فاعلية الكون.

٢) ننفي يقين الأمم السابقة.

٣) ننفي يقين النفس(أي فاعليتها).

---

(١) لما صغر في عينيه لم يسلط عليه.

أولا: ننفي ((فاعلية الكون)):

قال تعالى: { أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ * أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ * لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ* إِنَّا لَمُغْرَمُونَ* بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ* أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ* أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ* لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ* أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ * أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ* نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ } (١).

كل غير الله بغير الله لا يفعل شيئاً ،مثلاً :

_ **الشمس بدون الله**: لا تستطيع أن تعطى الحرارة والضوء، قال تعالى: {وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ * وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ * لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ } (٢).

- **والعين بدون الله**: لا تستطيع أن تبصر.. **والأذن بدون الله** : لا تستطيع أن تسمع، قال تعالى: { قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ } (٣).

---

(١) سورة الواقعة- الآيات من ٦٣ : ٧٣.

(٢) سورة يس- الآيات من ٣٧ : ٤٠.

(٣) سورة الملك- الآيات ٢٣.

{ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ } (١).

-واللسان بدون الله: لا يستطيع أن يتكلم: { الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ } (٢). فالذي يختم عليه في القيامة قادر أن يختم عليه في الدنيا، فكثيرا ما نرى أن كثيراً من الناس لهم ألسنة ولا يستطيعون الكلام.

-والأنف بدون الله: لا يستطيع أن يشم : فكثيرا من الناس قد حرموا من حاسة الشم.

- والرجل بدون الله : لا تستطيع أن تمشى: فَعَنْ قَتَادَةَ ، حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : أَنَّ رَجُلًا قَالَ : يَا نَبِيَّ اللهِ يُحْشَرُ الكَافِرُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ ؟ قَالَ : أَلَيْسَ الَّذِي أَمْشَاهُ عَلَى الرِّجْلَيْنِ فِي الدُّنْيَا قَادِرًا عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ قَالَ قَتَادَةُ : بَلَى وَعِزَّةِ رَبِّنَا(٣).وَقَال تعالى:(وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ) يَقُولُ - تَعَالَى ذِكْرُهُ - : وَلَوْ نَشَاءُ لَأَقْعَدْنَا هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَرْجُلِهِمْ فِي مَنَازِلِهِمْ (فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ) يَقُولُ : فَلَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَمْضُوا أَمَامَهُمْ ، وَلَا أَنْ يَرْجِعُوا وَرَاءَهُمْ(٤) .

---

(١) سورة الأنعام- الآيات ٤٦.

(٢) سورة يس- الآية ٦٥.

(٣) صحيح البخاري- كتاب تفسير القرآن- باب قوله: {الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم أولئك شر مكانا وأضل سبيلا} [الفرقان: ٣٤] حديث رقم ٤٥٠١.

(٤) تفسير الطبري.

-**والد بدون الله**: لا تستطيع أن تبطش: فَإِنَّ إبراهيم((قَدِمَ أَرْضَ جَبَّارٍ وَمَعَهُ سَارَةُ وَكَانَتْ أَحْسَنَ النَّاسِ فَقَالَ لَهَا إِنَّ هَذَا الْجَبَّارَ إِنْ يَعْلَمْ أَنَّكِ امْرَأَتِي يَغْلِبْنِي عَلَيْكِ فَإِنْ سَأَلَكِ فَأَخْبِرِيهِ أَنَّكِ أُخْتِي فَإِنَّكِ أُخْتِي فِي الْإِسْلَامِ فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ مُسْلِمًا غَيْرِي وَغَيْرَكِ فَلَمَّا دَخَلَ أَرْضَهُ رَآهَا بَعْضُ أَهْلِ الْجَبَّارِ أَتَاهُ فَقَالَ لَهُ لَقَدْ قَدِمَ أَرْضَكَ امْرَأَةٌ لَا يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تَكُونَ إِلَّا لَكَ فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا فَأُتِيَ بِهَا فَقَامَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَام إِلَى الصَّلَاةِ فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ لَمْ يَتَمَالَكْ أَنْ بَسَطَ يَدَهُ إِلَيْهَا فَقُبِضَتْ يَدُهُ قَبْضَةً شَدِيدَةً فَقَالَ لَهَا ادْعِي اللهَّ أَنْ يُطْلِقَ يَدِي وَلَا أَضُرُّكِ فَفَعَلَتْ فَعَادَ فَقُبِضَتْ أَشَدَّ مِنْ الْقَبْضَةِ الْأُولَى فَقَالَ لَهَا مِثْلَ ذَلِكَ فَفَعَلَتْ فَعَادَ فَقُبِضَتْ أَشَدَّ مِنْ الْقَبْضَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ فَقَالَ ادْعِي اللهَّ أَنْ يُطْلِقَ يَدِي فَلَكِ اللهَّ أَنْ لَا أَضُرَّكِ فَفَعَلَتْ وَأُطْلِقَتْ يَدُهُ وَدَعَا الَّذِي جَاءَ بِهَا فَقَالَ لَهُ إِنَّكَ إِنَّمَا أَتَيْتَنِي بِشَيْطَانٍ وَلَمْ تَأْتِنِي بِإِنْسَانٍ فَأَخْرِجْهَا مِنْ أَرْضِي وَأَعْطِهَا هَاجَرَ قَالَ فَأَقْبَلَتْ تَمْشِي فَلَمَّا رَآهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَام انْصَرَفَ فَقَالَ لَهَا مَهْيَمْ قَالَتْ خَيْرًا كَفَّ اللهُّ يَدَ الْفَاجِرِ وَأَخْدَمَ خَادِمًا قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ فَتِلْكَ أُمُّكُمْ يَا بَنِي مَاءِ السَّمَاءِ(١).

- **والطعام بدون الله**: لا يستطيع أن يعطى الشبع: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ كُنْتُ أَلْعَبُ مَعَ الصِّبْيَانِ فَجَاءَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ فَتَوَارَيْتُ خَلْفَ بَابٍ قَالَ فَجَاءَ

---

(١) صحيح مسلم» كتاب الفضائل» باب من فضائل إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم(٢٣٧١).

فَحطَأَنِي حَطْأَةً وَقَالَ اذْهَبْ وَادْعُ لِي مُعَاوِيَةَ قَالَ فَجِئْتُ فَقُلْتُ هُوَ يَأْكُلُ قَالَ ثُمَّ قَالَ لِيَ اذْهَبْ فَادْعُ لِي مُعَاوِيَةَ قَالَ فَجِئْتُ فَقُلْتُ هُوَ يَأْكُلُ فَقَالَ لَا أَشْبَعَ اللهُ بَطْنَهُ قَالَ ابْنُ الْمُثَنَّى قُلْتُ لِأُمَيَّةَ مَا حَطَأَنِي قَالَ قَفَدَنِي قَفْدَةً (١).

قال النووي: وَأَمَّا دُعَاؤُهُ عَلَى مُعَاوِيَةَ أَنْ لَا يَشْبَعَ حِينَ تَأَخَّرَ فَفِيهِ الْجَوَابَانِ السَّابِقَانِ : أَحَدُهُمَا أَنَّهُ جَرَى عَلَى اللِّسَانِ بِلَا قَصْدٍ ، وَالثَّانِي أَنَّهُ عُقُوبَةٌ لَهُ لِتَأَخُّرِهِ. وَقَدْ فَهِمَ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ اللهُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ مُعَاوِيَةَ لَمْ يَكُنْ مُسْتَحِقًّا لِلدُّعَاءِ عَلَيْهِ، فَلِهَذَا أَدْخَلَهُ فِي هَذَا الْبَابِ، وَجَعَلَهُ غَيْرُهُ مِنْ مَنَاقِبِ مُعَاوِيَةَ لِأَنَّهُ فِي الْحَقِيقَةِ يَصِيرُ دُعَاءً لَهُ . (٢).

_ **والماء بدون الله**: لا يستطيع أن يعطى الري: (فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ) (٣). فالذين لم يشربوا يُرْوَى أنهم كانوا ثَلَاثَمِائَةٍ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَى النَّهْرِ وَقَدْ أُلْقِيَ عَلَيْهِمُ الْعَطَشُ فَشَرِبَ مِنْهُ الْكُلُّ إِلَّا هَذَا الْعَدَدَ الْقَلِيلَ فَمَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً كَمَا أَمَرَ

---

(١) صحيح مسلم» كتاب البر والصلة والآداب» باب من لعنه النبي صلى الله عليه وسلم أو سبه أو دعا عليه وليس هو أهلا لذلك كان له زكاة وأجرا ورحمة(٢٦٠٤).

(٢) صحيح مسلم شرح النووي» كتاب البر والصلة والآداب» باب من لعنه النبي ﷺ أو سبه أو دعا عليه وليس هو أهلا لذلك كان له زكاة وأجرا ورحمة (٢٦٠٤).

(٣) سورة البقرة – الآية ٢٤٩.

اللهُ قَوِيَ قَلْبُهُ وَصَحَّ إِيمَانُهُ وَعَبَرَ النَّهْرَ سَالِمًا وَكَفَتْهُ تِلْكَ الْغُرْفَةُ الْوَاحِدَةُ لِشُرْبِهِ وَحَمْلِهِ وَدَوَابَّهُ وَالَّذِينَ شَرِبُوا وَخَالَفُوا أَمْرَ اللهِ اسْوَدَّتْ شِفَاهُهُمْ وَغَلَبَهُمُ الْعَطَشُ فَلَمْ يَرْوُوا وَبَقُوا عَلَى شَطِّ النَّهْرِ وَجَبُنُوا عَنْ لِقَاءِ الْعَدُوِّ فَلَمْ يُجَاوِزُوا وَلَمْ يَشْهَدُوا الْفَتْحَ (١).

فالذين شربوا ازدادوا عطشا أما الذين لم يشربوا هم الذين نشطوا لقتال الكفار ونصرهم الله عز وجل، كما نصر أهل بدر.

- **والسحاب بدون الله**: لا يُعطي المطر: (وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (٢).

وقال تعالى: (وَاللهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ النُّشُورُ) (٣).

- **والشجر بدون الله**: لا يعطي الثمر (وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) (٤).

---

(١) تفسير البغوي.

(٢) سورة الأعراف – الآية ٥٧.

(٣) سورة فاطر – الآية ٩.

(٤) سورة الأنعام – الآية ٩٩.

- **والنحل بدون الله**: لا يُعطي العسل :(وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ * ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (١).

- **والجاموس والبقر بدون الله**: لا يُعطي اللبن: (وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ) (٢).

- **والأرض بدون الله**: لا تُعطي الزرع، قال تعالى: { أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ * أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ * لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ } (٣).فنزرع الزرع: ونتوكل على الله في إنمائه وحفظه وحصول ثمرته.

- **والدواء بدون الله**: لا يعطي الشفاء :(وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ) (٤)..

فنتناول الدواء ونتوكل على الله تعالى الذي يعطينا الشفاء.

- **والنوم بدون الله**: لا يُعطي الراحة.(وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ) (٥).

---

(١) سورة النحل – الآيتان ٦٨ ، ٦٩.

(٢) سورة النحل – الآية ٦٦.

(٣) سورة الواقعة– الآيات من ٦٣ : ٦٥.

(٤) سورة الشعراء – الآية ٨٠.

(٥) سورة الروم – الآية ٢٣.

(هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِـرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ) (١).

عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهُ قَالَ : شَكَوْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرَقًا أَصَـابَنِي، فَقَـالَ : " قُـلِ : اللَّهُـمَّ غَـارَتِ النُّجُـومُ ، وَهَـدَأَتِ الْعُيُونُ ، وَأَنْتَ حَيٌّ قَيُّومٌ ، لا تَأْخُذُكَ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ ، أَهْدِئْ لِيَلِي ، وَأَنِمْ عَيْنِي " ، فَقُلْتُهَا، فَأَذْهَبَ اللهُّ عَزَّ وَجَلَّ عَنِّي مَـا كُنْـتُ أَجِـدُ (٢).فالراحـة ليست من النوم إنما النوم آنية فإذا شاء جعل فيها الراحـة وإذا شـاء جعـل فيهـا الأرق والتعب.. فننام ونتوكل على الله الذي يعطينا الراحة.

-والنار بدون الله: لا تحـرق، ولا نستفيد منها، فنار إبـراهيم تلقـت الأمـر من الله أن لا تحرق إبراهيم:(قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ) (٣).

_والسكين بدون الله: لا تذبح، فلما أراد إبـراهيم أن يـذبح ولـده إسـماعيل بوحي من الله، فلم تذبح السكين، لأن السكين لا تذبح إلا بـإرادة الله، وإذا أراد أن تذبح ذبحت.

-والبحر بدون الله: لا يغرق:(هُوَ الَّذِي يُسَـيِّرُكُمْ فِي الْـبَرِّ وَالْبَحْـرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَـا جَاءَتْهَـا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُـمْ أُحِـيطَ بِهِـمْ

(١) سورة يونس – الآية ٦٧.
(٢)عمل اليوم والليلة لابن السني » بَابُ : مَا يَقُولُ إِذَا أَصَابَهُ الأَرَقُ _ رقم الحديث: ٧٤٣.
(٣) سورة الأنبياء – الآية ٦٩.

دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ * فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُم مَّتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) (١).

- والأشياء بدون الله: لا تقضي الحوائج.. إنما قضاء الحوائج بيد الله.

✸ يقول الشيخ محمد عمر البالمبوري(رحمه الله): الله أظهر قدرته مع الأسباب، فلا نمنعك من الزراعة، ولكن لا تتيقن عليها، وتيقن على الخالق.

✸ لو ننفي فاعلية الكون يخرج يقين الكون من القلب، ونترك عبادة الكون ونعبد الله: قال الله تعالى:{ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ }(٢).

✸ وكذلك الله يحفظنا من شر الكون: ففي الحديث:" مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ فِي صَبَاحِ كُلِّ يَوْمٍ وَمَسَاءِ كُلِّ لَيْلَةٍ بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ " (٣).

---

(١) سورة يونس – الآيتان ٢٢ ، ٢٣.

(٢) سورة فصلت _ الآية ٣٧.

(٣) رواه أبو داود (٥٠٨٨)، ورواه الترمذي في سننه (رقم/٣٣٨٨) وقال الترمذي : حسن صحيح غريب. وصححه ابن القيم في " زاد المعاد " (٣٣٨/٢)، وصححه الألباني في " صحيح أبي داود ".

ثانيا: ننفي يقين ((الأمم السابقة)):

- يقين قوم نوح على الكثرة.. اغتروا بكثرتهم واعتمدوا عليها، فاستكبروا وسخروا :{ فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ}(١)، فأهلكهم الله تعالى.

- يقين قوم شعيب على التجارة.. اغتروا بالأموال والتجارة، فطففوا الكيل والميزان :{ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ * وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ * بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ * قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ * قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} (٢)، فأهلكهم الله تعالى.

---

(١) سورة هود _ الآية ٢٧.

(٢) سورة هود _ الآيات من ٨٤ : ٨٨.

- يقين قوم سبأ على الزراعة.. تعلقوا بالزراعة واعتمدوا عليها من دون الله تعالى،:{ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ * فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ * ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ * وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ * فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ }(١)، فدمرها الله تعالى وأهلكهم.

- يقين قوم عاد على القوة.. فاغتروا بقوتهم، فكفروا وكذبوا ، وقال لهم هود محذرا:{ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ * وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ * أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ * وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ }(٢)، وبين الله كيف كانت قوتهم التي اعتمدوا عليها، والتي نسوا أنها من الله تعالى:{ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ

(١) سورة هود _ الآيات من ١٥ : ١٩.

(٢) سورة الشعراء _ الآيات من ١٢٨ ، ١٣٥.

أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ * فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ }(١)

- يقين قوم ثمود على الصناعة.. خدعوا بالصناعة، ورغد العيش، فحذرهم نبيهم صالح، فقال لهم:{ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ * فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ * وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ }(٢).

- يقين قوم عيسى على الطب.

- يقين فرعون على الملك.. خدع بملكه، فطغى واستكبر وتجبر وأفسد في الأرض:{ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ * أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ * فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ * فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ * فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ * فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ }(٣) فأهلكه الله تعالى.

---

(١) سورة فصلت _ الآيتان من ١٥ ، ١٦.

(٢) سورة الشعراء _ الآيتان من ١٤٦ : ١٥٠.

(٣) سورة الزخرف _ الآيات من ٥١ : ٥٦.

- يقين قارون على المال :قال تعالى{ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ * وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ * قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ * فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ * وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ * فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ }(١) فأهلكه الله تعالى.

- وبسبب هذا اليقين الفاسد عند الأمم السابقة، الله تعالى أهلكهم ودمرهم، وأنجى رسله والذين آمنوا معهم، كما قال الله تعالى: { فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ }(٢).

يقول الشيخ الأنصاري: جميع الأنبياء (عليهم السلام) بعثوا بدعوة (لا إله إلا الله) ما بعثوا لشيء آخر بها يصلح يقين الأمم، وبها صلح أعمال الأمم.

---

(١) سورة القصص _ الآيات من ٧٦ :٨١.

(٢) سورة العنكبوت– الآية ٤٠.

ثالثا: ننفي بقين النفس:

عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ):" إِنَّ اللَّهَ خَالِقُ كُلِّ صَانِعٍ وَصَنْعَتِهِ "(١).

وفي رواية: عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنَّ اللهَ يَصْنَعُ كُلَّ صَانِعٍ وَصَنْعَتَهُ "، وَتَلا بَعْضُهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ : (وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ) (٢)، فَأَخْبَرَ أَنَّ الصِّنَاعَاتِ وَأَهْلَهَا مَخْلُوقَةٌ (٣).

أنفي [أنا ، لي ، عندي]

أنا : قالها إبليس: { قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ } (٤). فأهلكته.

لي: قالها فرعون: قال الله تعالى: { وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ } (٥). فأهلكته

---

(١) المستدرك على الصحيحين» كتاب الإيمان» إِنَّ اللَّهَ خَالِقُ كُلِّ صَانِعٍ وَصَنْعَتِهِ (٩٣).

(٢) سورة الصافات آية ٩٦.

(٣) قال الألباني في " السلسلة الصحيحة " ٤ / ١٨١ :أخرجه البخاري في " خلق أفعال العباد " (ص ٧٣) وابن أبي عاصم في " السنة "(٣٥٧ ، ٣٥٨) وابن منده في " التوحيد " (ق ٣٩ / ٢) وابن عدي (٢٦٣ / ٢)والحاكم (١ / ٣١) والبيهقي في " الأسماء و الصفات " (ص ٢٦ ، ٣٨٨) و كذا المحاملي في " الأمالي " (ج ٦ رقم ١٣) و الديلمي (١ / ٢ / ٢٢٨) من طرق عنأبي مالك الأشجعي عن ربعي بن حراش عن حذيفة مرفوعا به . وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وهو كما قالا .

(٤) سورة الأعراف- الآية ١٢.

(٥) سورة الزخرف- الآية ٥١.

عندي: قالها قارون: قال الله تعالى: {قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي }(١).

قال الشيخ أمين [مسئول الدعوة بكراتشي]: ننفي فاعلية أنفسنا، وما عندنا [قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ](٢).

أنا لست شيء وليس لي شيء ولا أفعل شيء، ولا الذي عندي يفعل شيء .. الفعال هو الله.

(١) سورة القصص- الآية ٧٨.

(٢) سورة الأعراف- الآية ١٨٨.

الختام

لا بد أن نفهم أننا مع نفي جميع ما سوى الله، ليس معناه لا نستعمل الأشياء، والدليل: أن:(لا إله إلا الله) لا تقبل إلا بطريق (رسول الله) والرسول (ﷺ) أكمل الخلق، وأكملهم يقينا على الله عند خروجه من بيته للهجرة: رمى التراب في وجوه المشركين وهو يقرأ قوله تعالى(وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ) (١) وخرج من بينهم ودخل في الغار _ والاختباء في الغار من أسباب الحفاظة _ ومع أخذه بالسبب ليس يقينه على السبب.. فعَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ : فَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- يَنْتَظِرُ أَمْرَ اللَّهِ، حَتَّى إِذَا اجْتَمَعَتْ قُرَيْشٌ فَمَكَرَتْ بِهِ، وَأَرَادُوا بِهِ مَا أَرَادُوا ، أَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَمَرَهُ أَلَّا يَبِيتَ فِي مَكَانِهِ الَّذِي كَانَ يَبِيتُ فِيهِ فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَبِيتَ عَلَى فِرَاشِهِ وَأَنْ يَتَسَجَّى بِبُرْدٍ لَهُ أَخْضَرَ ، فَفَعَلَ . ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ- عَلَى الْقَوْمِ وَهُمْ عَلَى بَابِهِ، وَخَرَجَ مَعَهُ بِحَفْنَةٍ مِنْ تُرَابٍ، فَجَعَلَ يَذُرُّهَا عَلَى رُءُوسِهِمْ، وَأَخَذَ اللَّهُ بِأَبْصَارِهِمْ عَنْ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ - ﷺ- وَهُوَ يَقْرَأُ: (يس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ إِلَى قَوْلِهِ :فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ) (٢)(٣).

---

(١) سورة يس- الآية ٩.

(٢) سورة يس- الآيات من ١: ٩.

(٣) تفسير القرآن العظيم» تفسير سورة الأنفال» تفسير قوله تعالى (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (٣٠).

ولما وقف المشركون على الغار ،فقال أبو بكر: لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَى قَدَمَيْهِ لأَبْصَرَنَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ (ﷺ):" يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا ؟".

فكان اعتماده وتوكله على الله.

وَقَدْ ظَنَّ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّ التَّوَكُّلَ يُنَافِي الِاكْتِسَابَ وَتَعَاطِيَ الْأَسْبَابِ، وَأَنَّ الْأُمُورَ إِذَا كَانَتْ مُقَدَّرَةً فَلَا حَاجَةَ إِلَى الْأَسْبَابِ! وَهَذَا فَاسِدٌ، فَإِنَّ الِاكْتِسَابَ مِنْهُ فَرْضٌ، وَمِنْهُ مُسْتَحَبٌّ، وَمِنْهُ مُبَاحٌ، وَمِنْهُ مَكْرُوهٌ، وَمِنْهُ حَرَامٌ، كَمَا قَدْ عُرِفَ فِي مَوْضِعِهِ.

وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَفْضَلَ الْمُتَوَكِّلِينَ، يَلْبَسُ لَأْمَةَ الْحَرْبِ، وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لِلِاكْتِسَابِ، حَتَّى قَالَ الْكَافِرُونَ:{ مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ }(١)؛ وَلِهَذَا تَجِدُ كَثِيرًا مِمَّنْ يَرَى الِاكْتِسَابَ يُنَافِي التَّوَكُّلَ يُرْزَقُونَ عَلَى يَدِ مَنْ يُعْطِيهِمْ: إِمَّا صَدَقَةً، وَإِمَّا هَدِيَّةً، وَقَدْ يَكُونُ ذَلِكَ مِنْ مَكَّاسٍ، أَوْ وَالِي شُرْطَةٍ (٢).

وكان النبي (ﷺ) يتداوى ، ويأمر بالتداوي، فعَنْ أُسَامَةَ بْنِ شَرِيكٍ قَالَ قَالَتْ الْأَعْرَابُ يَا رَسُولَ اللهَّ أَلَا نَتَدَاوَى، قَالَ:" نَعَمْ يَا عِبَادَ اللهَّ! تَدَاوَوْا فَإِنَّ اللهَّ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ شِفَاءً أَوْ قَالَ دَوَاءً إِلَّا دَاءً وَاحِدًا قَالُوا يَا رَسُولَ اللهَّ وَمَا هُوَ قَالَ الْهَرَمُ "(٣).وَحَاصِلُهُ أَنَّ رِعَايَةَ الْأَسْبَابِ بِالتَّدَاوِي لَا تُنَافِي التَّوَكُّلَ، كَمَا لَا

---

(١) سورة الفرقان- الآية ٧.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية- علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي .

(٣) سنن الترمذي» كتاب الطب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم» بَاب مَا جَاءَ فِي الدَّوَاءِ وَالْحَثِّ عَلَيْهِ (٢٠٣٨).

يُنَافِيهِ دَفْعُ الْجُوعِ بِالْأَكْلِ وَقَمْعُ الْعَطَشِ بِالشُّرْبِ، وَمِنْ ثَمَّ قَالَ الْمُحَاسَبِيُّ: يَتَدَاوَى الْمُتَوَكِّلُ اقْتِدَاءً بِسَيِّدِ الْمُتَوَكِّلِينَ(١).

وأمر بإطفاء السراج .. وإغلاق الأبواب .. وأمر بنفض الفراش والتسمية عند النوم .. وأخذ الزاد في السفر .. وأخذ من يدله على الطريق في الهجرة .. وكان يتقي الحر والبرد .. ولم ينقص ذلك من توكله.

فاستعمال الأسباب ليس خلاف اليقين، بل استعمال الأسباب مع اعتماد القلب على الله من كمال اليقين.

يقول الشيخ سعيد أحمد خان (رحمه الله): التوكل مع الأسباب توكل أعلى وأفضل، فعن الْمُغِيرَةُ بْنُ أَبِي قُرَّةَ السَّدُوسِيُّ قَال سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهَّ! أَعْقِلُهَا وَأَتَوَكَّلُ أَوْ أُطْلِقُهَا وَأَتَوَكَّلُ؟ قَالَ: " اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ "(٢) (٣).لأن الله يختبر بعد ربطها هل الطمأنينة كاملة بالله، أو بالله والحبل؟.

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» كتاب الطب والرقى.

(٢) قَوْلُهُ: (أَعْقِلُهَا) بِصِيغَةِ الْمُتَكَلِّمِ وَحَرْفُ الِاسْتِفْهَامِ مَحْذُوفٌ قَالَ فِي الْقَامُوسِ: عَقَلَ الْبَعِيرَ شَدَّ وَظِيفَهُ إِلَى ذِرَاعِهِ كَعَقَلَهُ وَاعْتَقَلَهُ انْتَهَى (وَأَتَوَكَّلُ) أَيْ عَلَى اللَّهِ بَعْدَ الْعَقْلِ (أَوْ أُطْلِقُهَا) أَيْ أُرْسِلُهَا (وَأَتَوَكَّلُ) أَيْ عَلَى اللَّهِ بَعْدَ الْإِرْسَالِ (قَالَ اعْقِلْهَا) قَالَ الْمُنَاوِيُّ : أَيْ شُدَّ رُكْبَةَ نَاقَتِكَ مَعَ ذِرَاعَيْهَا بِحَبْلٍ (وَتَوَكَّلْ) أَيِ اعْتَمِدْ عَلَى اللَّهِ ، وَذَلِكَ لِأَنَّ عَقْلَهَا لَا يُنَافِي التَّوَكُّلَ . (تحفة الأحوذي).

٣) سنن الترمذي» كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم» باب منه(٢٥١٧)، التوكل على الله لابن أبي الدنيا» أعقلها وأتوكل، أم أطلقها وأتوكل؟ قال: أعقلها وتوكل- رقم الحديث: ١١.

ويقول الشيخ محمد عمر البالمبوري (رحمه الله): نشتغل في الأسباب الظاهرية، ولكن لا نتكل عليها ونتوكل على الله تعالى.

فالاشتغال في الأسباب الظاهرية ليس ممنوع، ولكن الاتكال على الأسباب الظاهرية ممنوع ، فنتجرد عن الأسباب والوسائل بحسب الاتكال، لا بحسب الاشتغال، نشتغل في مشاغلنا الكسبية والبيتية ، ونشتغل في الأسباب الظاهرية، فالله عز وجل ما منعنا أن نشتغل في الأسباب الظاهرية.

قال الله ﷻ لنوح عليه السلام: ﴿ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾(١) ، وقال لداود عليه السلام :﴿ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُون ﴾ (٢)، وقال تعالى:﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾(٣)، وقال تعالى:﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ﴾ (٤)، وقال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا ﴾(٥).

والرسول ﷺ في غزوة أحد لبس درعين من حديد . . ولبس المغفر على رأسه يوم الفتح، وأكل الطعام، وشرب الماء والحليب .. وغير ذلك.

---

١) سورة المؤمنون – من الآية ٢٧

٢) سورة الانبياء – الآية ٨٠.

٣) سورة لأنفال – من الآية ٦٠.

٤) سورة البقرة – من الآية ٢٩.

(٥) سورة النساء – من الآية ٧١.

وفي مكة : كما في مسند أَحْمَدَ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ وَابْنُ حِبَّانَ عَنْ جَابِرٍ مِثْلُهُ وَأَوَّلُهُ مَكَثَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- عَشْرَ سِنِينَ يَتَّبِعُ النَّاسَ فِي مَنَازِلِهِمْ فِي الْمَوَاسِمِ بِمِنًى وَغَيْرِهَا يَقُولُ : مَنْ يُؤْوِينِي ، مَنْ يَنْصُرُنِي حَتَّى أُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّي وَلَهُ الْجَنَّةُ ؟ حَتَّى بَعَثَنَا اللهُ لَهُ مِنْ يَثْرِبَ فَصَدَّقْنَاهُ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ حَتَّى قَالَ : فَرَحَلَ إِلَيْهِ مِنَّا سَبْعُونَ رَجُلًا ، فَوَعَدْنَاهُ بَيْعَةَ الْعَقَبَةِ ، فَقُلْنَا : عَلَامَ نُبَايِعُكَ ؟ فَقَالَ: عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي النَّشَاطِ وَالْكَسَلِ، وَعَلَى النَّفَقَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، وَعَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَعَلَى أَنْ تَنْصُرُونِي إِذَا قَدِمْتُ عَلَيْكُمْ يَثْرِبَ ، فَتَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ وَأَزْوَاجَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ ، وَلَكُمُ الْجَنَّةُ . (١).

ويعقوب قال لأولاده :﴿ وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا للهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾(٢).

وقال سبحانه وتعالى لأمة محمد - ﷺ-: { فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } (٣).

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري» كتاب مناقب الأنصار» باب وفود الأنصار إلى النبي صلى الله عليه وسلم بمكة وبيعة العقبة (٣٦٧٩) .

(٢) سورة يوسف- من الآية ٦٧.

(٣) سورة الجمعة- من الآية ١٠ .

عُلِمَ من ذلك أن الله (ﷻ) لم يمنعنا من الاشتغال بالسبب الظاهري فلو جاء علينا الجوع فعلينا أن نأكل، قال تعالى: ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللهِّ ﴾(١).

ونحتاج إلى الزوجة فنتزوج فالله ﷻ يقول لنا:﴿ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ﴾(٢) .

وإذا رزقنا بالمولود فالله يقول:﴿ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾(٣) وقال تعالى ﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ ﴾ (٤) .

من جميع الآيات السابقة عُلِمَ أن الله تعالى ما منعنا من الاشتغال، بالأسباب الظاهرية ولكن الله تعالى منعنا من الاتكال على الأسباب الظاهرية.

وكيف يُعْلَم ذلك ؟ بالامتحان، قال تعالى ﴿ الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ ﴾(٥) .

كيف الله ﷻ يمتحن عبده ؟ الله ﷻ يأتي بأوامره ، فالأوامر تصير بمقابلة الأسباب الظاهرية ، فإذا امتثل الإنسان أوامر الله ﷻ وترك السبب الظاهري ، فهذا الإنسان قوى الإيمان ، وإذا ترك أمر الله ﷻ بسبب الاشتغال بالأسباب الظاهرية فهذا الإنسان ضعيف الإيمان .

---

(١) سورة البقرة _ الآية ٦٠.
(٢) سورة النساء – من الآية ٣
(٣) سورة البقرة – من الآية ٢٣٣
(٤) سورة الطلاق – من الآية ٦
(٥) سورة العنكبوت – الآية ٢

والإنسان مكلف أن يتحصل سبب ظاهري الذي فيه منافع وأن يتجنب الأسباب الظاهرية التي فيها مشقة، علي سبيل المثال:

١) يتجنب الجوع ويأكل الطعام .

٢) يتجنب البرد ويلبس الثياب ليتحصل على الدفء.

٣) يتجنب الظلمة ويضيء المصباح ليتحصل على النور .

سيدنا موسى عليه السلام كان عنده سبب ظاهري " العصا " ، الله تعالى قال لـه: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى ﴾ (١) ، فأجاب موسى عليه السلام ﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى ﴾ (٢).

فالعصا سبب ظاهري لتربية الغنم وصاحب الغنم ، فجاءت المقابلة ، أمر الله أمام سبب ظاهري، قال ﴿ قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى ﴾(٣).

لو يمتثل أمر الله ﷻ يترك سبب نافع ، ولو يشتغل في السبب النافع يترك أمر الله ﷻ .

الآن صار مقابلة أمر الله ﷻ وبين سبب ظاهري الذي فيه منافع ، فسيدنا موسى عليه السلام كان في قلبه أن النافع والضار هو الله ﷻ ، والمعز والمذل هو الله ﷻ ، وأن النجاح والخسارة من الله ﷻ ، وأن هذه الأشياء المادية لا تنفعنا ولا تضرنا إلا بمشيئة الله تعالى .

---

(١) سورة طـه – الآية ١٧

(٢) سورة طـه – الآية ١٨

(٣) سورة طـه – الآية ١٩

فجميع الأشياء المادية مثالها مثال (العصا) فالعصا لا تنفع ولا تضر إلا بمشيئة صاحب العصا ، فعندما تكون العصا على الأرض لا تنفع ولا تضر، ولكن صاحب العصا أخذ العصا وضرب الشجر وأخذ الثمر وأعطانا الثمر فنحن نشكر صاحب العصا ولا نشكر العصا .

ولو أن صاحب العصا غضب علينا، فأخذ العصا ثم ضربنا فنحن لا نعتب على العصا ونقول لماذا تضربيني يا عصا بل نعتب على صاحب العصا .

فالملك والمال والتجارة والدكاكين والمزارع والبساتين .. الخ فكل هذا مثل العصا ، والله ﷻ هو الذي يستعمل العصا .

فبعوضة واحدة عرجاء تكفى لإهلاك النمرود .. وذلك بعد إرادة الله تعالى . سيدنا موسى عليه السلام ما خاف عندما ترك العصا ، ولكن الامتحان الصعب عندما ألقاها تحولت حية ، فهرب موسى عليه السلام : ﴿ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴾(١) ، وقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾(٢). فجاء الأمر من الله:﴿ قَالَ خُذْهَا وَلا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الأُولَى ﴾(٣). فلما جاء أمر الله مقابلة ترك سبب نافع ، فترك السبب النافع وامتثل أمر الله.

ولما جاء أمر الله مقابلة أخذ سبب ضار فتحمل المشقة وأخذ السبب الضار.

---

(١) سورة طـه - الآية ٢٠

(٢) سورة القصص – من الآية ٣١

(٣) سورة طـه – الآية ٢١

فكـذلك الله ﷻ يعطينـا الأمـر : ﴿ انْفِـرُوا خِفَافـاً وَثِقَـالاً وَجَاهِـدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُون﴾(١) .

أنتم أنفقوا أموالكم مثل ترك العصا ، ثم تحملـوا مشـقة أنفسـكم مثـل أخذ الحية ، فإذا فعلتم ذلك فالله ﷻ يفعل معكم مثل ما فعـل مـع موسـى عليه السلام ، فموسى عليه السلام لما كان يلقى عصاه بإرادته فـما كانـت قـوة العصـا إلا لتربية الغنم وصاحب الغنم ، ولما ألقاها بأمر الله ﷻ صـارت هـذه العصـا سبباً لتربية الغنم وصاحب الغنم وتربية اثنا عشر ـ أسـباطاً ، قـال تعـالى ﴿ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَـةَ عَيْنـاً قَـدْ عَلِـمَ كُـلُّ أُنَـاسٍ مَشْرَـبَهُمْ كُلُـوا وَاشْرَبُـوا مِـنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلا تَعْثَـوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾(٢)

ولما أتبعه فرعون بجنوده ، قال تعالى ﴿ فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ * فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾ (٣).

ماذا كان رد موسى عليه السلام ..؟ ﴿ قَالَ كَلا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾(٤).

ماذا كانت النتيجة ؟: ﴿ فَأَوْحَيْنَـا إِلَى مُوسَـى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَـاكَ الْبَحْـرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ * وَأَزْلَفْنَا ثَـمَّ الآخَـرِينَ * وَأَنْجَيْنَـا

(١) سورة التوبة – الآية ٤١
(٢) سورة البقرة – من الآية ٦٠.
(٣) سورة الشعراء– الآيتان ٦٠، ٦١
(٤) سورة الشعراء – الآية ٦٢

مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴾(١).فأصبحت العصا سبباً لحفاظة موسى عليه السلام وقومه، وصارت هذه العصا سبباً لإحياء الدين..قال تعالى ﴿ فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ * فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ * قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴾ (٢) قيل كانوا حوالى ستون ألفاً وآمنت زوجة فرعون .

فعندما نترك أموالنا النافعة مثل ترك العصا بسبب أمر الله ﷻ ونتحمل مشقة أنفسنا مثل أخذ العصا ، فكما وعد الله ﷻ موسى ﴿ قَالَ خُذْهَا وَلا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الأُولَى ﴾ (٣)

فالله ﷻ يوعدنا ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾(٤)(٥).

(١) سورة الشعراء – الآيات ٦٣ : ٦٥

(٢) سورة الشعراء – الآيات ٤٥ : ٤٨ .

٣) سورة طـــه – الآية ٢١ .

٤) سورة الصف – الآيات ١٠ : ١٣.

٥) انظر روائع العلامة محمد عمر البالمبوري – بقلم المؤلف.

المراجع

م	المرجـــــــــــــع
١	القرآن الكريم
٢	كتب التفسير: - تفسير ابن كثير. - تفسير الطبري. - تفسير البغوي.
٣	كتب الحديث: - رياض الصالحين – طبعة المكتب الإسلامي. - صحيح البخاري. - صحيح مسلم. - سنن الترمذي. - سنن أبي داود. - سنن النسائي. - سنن ابن ماجة. - سنن الطبراني. - مستدرك الحاكم – طبعة بيروت. لبنان. - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي

	- التوكل على الله لابن أبي الدنيا. - خلق أفعال العباد للبخاري. - مرقاة المفاتيح – شرح مشكاة المصابيح لعلى الملا.
٤	كتب السيرة: - سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد للصالحي – طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة. - حياة الصحابة للكاندهلوي _ طبعة بيروت _ لبنان. - الخصائص الكبرى للسيوطي _ موقع إسلام ويب على شبكة النت.
٥	كتب خاصة بالدعوة والتبليغ: - روائع العلامة محمد عمر البالمبوري بقلم المؤلف. - كلمات مضيئة في الدعوة إلى الله بقلم المؤلف. - الصفات الست في ضوء الكتاب والسنه وفهم سلف الأمة – بقلم/ المؤلف.
٦	كتب في العقيدة: - شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز. دار البيان العربي _ الأزهر _ درب الأتراك _ القاهرة _ جمهورية مصر العربية. - فقه القلوب للشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد الله للتويجري _ دار أصداء المجتمع – القصيم – بريدة – المملكة العربية السعودية.

مُحْتَوَيَاتُ الكِتَابِ

م	الموضوع	الصفحة
١	الإهداء.....	٣
٢	تقديم فضيلة الدكتور/ عبد الغني القاسمي	٤
٣	تقديم فضيلة الشيخ توفيق فيضال	٦
٤	النفي والإثبات في شريعة أهل الإيمان.....	٨
	تمهيد.....	٨
٥	يقين الكلمة الطيبة.....	٢٠
٦	طريق إصلاح اليقين في القلب	٣٢
	كيف يتغير اليقين من:	٣٢
	أولا: من المخلوق إلى الخالق.....	٣٢
	ثانيا: من الأشياء والأسباب إلى الأعمال	٣٩
	ثالثا: من الدنيا إلى الآخرة.....	٥٢
٧	لما نقوم بالنفي والإثبات نستفيد أربع فوائد	٦٠
٨	وطريقة النفي والإثبات:	٦٤
	أولا: ننفي فاعلية الكون.....	٦٥
	ثانيا: ننفي يقين الأمم السابقة.....	٧٣

	ثالثا: ننفي يقين النفس(أي فاعليتها).....	٧٧
٩	الختام.....	٧٩
١٠	المراجع.....	٨٩
١١	محتويات الكتاب.....	٩١

الفراغ

من كتاب النفي والإثبات في شريعة أهل الإيمان

يوم الثلاثاء

الموافق الثلاثون من شهر رمضان عام ١٤٤٠ هـ

عنوان المؤلف

كفر ميت العز – مركز ميت غمر – محافظة الدقهلية

جمهورية مصر العربية

البريد الإلكتروني للمؤلف

Emam2030@gmail.com

تليفون المؤلف

٠١٠٦٤١٥٨٢٤٦

كتب للمؤلف	
١	اليقين في معرفة رب العالمين
٢	اليقـين والتوكـل على الله (مسألة الرزق)
٣	الحق المبين في معرفة الملائكة المقربين
٤	كلمات مضيئة في الدعوة إلى الله
٥	فضيلة الشيخ فريد العراقي (رحمه الله)
٦	روائع العلامة محمد عمر البالمبوري
٧	الفهم العميق في الدعوة إلى الله (من كلام الشيخ الأنصاري)
٨	فرضية الدعوة إلى الله (الشيخ عبد الوهاب)
٩	نصيحة الدعاة من كلام الشيخ عبد الوهاب رحمه الله)
١٠	روائع العلامة أبي الحسن الندوي
١١	الباعث على الاستقامة في الدعوة إلى الله
١٢	بصائر دعوية (من كلام الشيخ سعيد أحمد خان)
١٣	الأنوار النعمانية في الدعوة الربانية(من كلام الدكتور نعمان أبو الليل) (أربعة مجلدات)
١٤	التاج الجامع للأصول في جهد الرسول (سبعة مجلد)
١٥	صلاح البيوت في جهد الرسول (اثنين مجلد)
١٦	مشكاة الأحباب في جهد التبليغ والدعوة

١٧	الكلام البليغ في تأييد أهل التبليغ (فتاوى العلماء)
١٨	المنتقي من كلام أهل التبليغ والدعوة (اثنين مجلد)
١٩	الأمراء الثلاثة لجماعة التبليغ والدعوة (اثنين مجلد)
٢٠	البيان الواضح في جهد التبليغ والدعوة من كلام الشيخ محمد الملا
٢١	أحلى الكلام(في مناجاة ذي الجلال والإكرام)
٢٢	لماذا لا نتكلم في السياسة؟
٢٣	النفي والإثبات في شريعة أهل الإيمان (كتابنا هذا)
٢٤	الصفات الست في ضوء الكتاب والسنة وفهم سلف الأمة وعلماء ومشايخ التبليغ والدعوة (ثلاثة مجلدات)

كل الحقوق محفوظة

تليفون المؤلف

المحمول/ ٠١٠٦٤ ١٥٨٢٤٦